سيدة الأحلام

اسم العمل : سيدة الأحلام
النوع : رواية
تأليف : نجوى عبدالرحمن
تصميم الغلاف : أحمد الملواني
إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
الطباعة : اتيليه تاتش – المحروسة
الناشر : الدار للنشر والتوزيع
المدير العام : محمد صلاح مراد
تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
رقم الإيداع : ٢٠١٧/٢٥٣٣
الترقيم الدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-180-7

سيدة الأحلام

رواية

نجوى عبدالرحمن

الدار
للنشر والتوزيع

٢٠١٦

مفتتح

يتوقف الوقت
الساعات التي مرت
ولم تمر تنزع من دمي دمي
ومن دهشتي الجهنميه
مخالب اليقظه
وانت عندما لايطوف وجهك بساحات المدينه
يعلن عن قيام الزمن
بزوغ الحدائق
حضور البحر
لفحه العشق
رعشه العشاق
يغرقني نشع الجدران الرماديه
في اروقه
الذاكره الخوف
وياذ صدري
برنيم التماثيل المجوفه

إهـــداء

إليـــها...

حيث أنت ..

على روحك السلام..

يامن اهديتني معنى جديد للحياه ..

فتحيه العسال... أنت بالوجدان...

ضفه البدايه...

علي ضـــفاف الحلم نطير ونطير... نحط أحيانا على ضـــفاف الواقع.. لكن ســـرعان مانهرب من الواقع لدنيا الاحلام .. والكوابيس.. والاوهام لنرسـو بسـفينه الاحلام علي شـطوط الوهم والحيره وندخل الي دنياها المؤلمه كثيرا والمبهجه قليلا... تتلمس خطواتنا ارضـــه وتمهد الطريق للرحله.... رحله الحياه الحلم أو الحلم الحياه الرؤيه ضـــبابيه بعض الشـئ... ثم تتضـح وضـوح النهار... نهار الحلم الذي يولد في الليل ودائما ينتهي بالنهار.. محكوم عليه بالموت نهارا.....

سكنه الموت المفاجئ

انظر لملامحه لم تتغير فملامحه جامده لاتدب فيها حياه

في يدي المنديل لطخه الدم

وتطاردني الريح والاوهام والاهات

قتلت الحقد والعبوديه والجحود

ارتحلت بمدارات الوجع اطوي المسافات لم يبق لي بعد انكسار الالم

الا التحليق فلم تستوعب الارض احلامي ولم يعد لي موطنا....

كنت انظر اليها وهي تروي لي تفاصيل جريمتها

البشـــعه والتي اهتز لها كياني وانا في حاله من الذهول وعدم التصديق

تركتها وانا اعدو تجاه الطريق كنت احاول الا اصـــدق ماحدث وانا في طريقي كانت حياتي تمرامامي صـــور متلاحقه ومتقاطعه يقطعها روايه صديقتي لتفاصيل واقعتها

فاهرب مره اخري لذكرياتي وليس مهما ان تكون ذكريات سـعيده او مؤلمه الاهم ان ابعد تفاصـيل المشـهد عن ذاكرتي حتي تهدا ارتعادات جسدي

كانت العربه التي تقلني الي المدينه التي اســكن بها تســير علي الطريق ومعها يســير شــريط حياتي امامي اهرب به من فظاعه جرم صديقتي

كان معينا لي علي استحضار روح التسامح والطفوله بداخلي والتي ارتعدت من فكره تلاشيها

اهرب للعبث الطفولي واراه يرقبني في لياليي الطويله يقتحم خلوتي ويتســلل الي غرفتي ويتلصــص علي في نومي فاتظاهر بانني لااراه وعندما يخرج متسللا اتابعه

هو صديق الوحده والغربه والليالي الموحشه حتي اذا اغلقت نافذتي تسلل من ثنايا فتحاتها ليتاملني وبحسره يتحسس جسدي ويطمئن انه معي

هو رفيق العمر الذي يجتاح الروح والجسد والذي لايتركني الا وقد شاع الابتهاج روحي فاودعه علي شبقي في انتظار ان يطل علي مختالا الليله القادمه

كي يضوي سماء حياتي مثلما يضئ سماء الكون

تزوجت وانا طفله لم يتجاوز عمري السابعه عشر سنه كل ماتعرفه عن الزواج الفستان الابيض والطرحه والزفه والزغاريد لتنتهي في برواز معلق علي جدار البيت البارد

كنت اساق الي مجهول لااعلم عنه شيئا وتحفظت امي ان تخبرني عنه شيئا فكانت صدمتي الاولي مع واقع اجهله وتتحول الليله الاولي لزواجي لذكري مؤلمه خليط من المجهول والخوف والرعب لكن لايحتويها اي لحظه فرح

تزوجت وانا في ايامي الاولي بدراستي الجامعيه استيقظت يومها من نومي علي صوت امي تناديني ان اقوم لاستعد للذهاب الي الكوافير لعمل شعري ومايلزم للعروس في ذلك اليوم

اخذت حمامي وخرجت لتناول افطاري علي عجل فكل شـئ في هذا اليوم كان علي عجل كنت وحيده لم يكن معي احد من الصـــديقات او بنات الجيران او الاهل كانت معي هواجسي تتملكني وتطيح بالباقي من البراءه.. ووجدتني وانا طفله اتحمل مسئوليه بيت وزوج ودراسـه جامعيه كنت اطمح فيها وبها ان تحقق كل طموحاتي واحلامي

كان زواجي بمثابه اعلان انهزامي وانكســاري واغتيال احلامي التي عشــت بها طفولتي وجزء من صــباي وطموحاتي التي دفنوها مع قرار تزويجي

احســســت وقتها ان احلامي تغتال وانا ازف الي المجهول ولم اكن ادري انني ذبيحه تزف الي ذابجها

اســاق الي المجهول ولم يكن هناك معينا لي ليلتها ســوي الخوف اتدثر به وارتجف منه وكان الخوف هو ظل لحياتي لايغادرني صـرحت له ليلتها بانني خائفه لم يكن رحيما ليستشعر ذلك او يتعاطف معه لكنه ضـــحك كثيرا وقال اتخافين الضـــلمه ام انك تخافين العفاريت كانت ضـحكاته شـيطانيه للدرجه التي سـددت معها اذناي بيدي واحســست بغصه في حلقي

لم يمهلني لحظتها حتي يتلاشـي الخوف كنت اشـرب فنجان القهوه باللبن والذي اعده لي حتي (اصـــحصـــح) علي حد تعبيره فقد انقض

الوحش علي فريسته التي كانت تان من الالم وتبكي داخلها مراره لحظه غير ادميه ليتركني بعدها انا والخوف ومراره اللحظه

ليلتها هربت الي الحمام كان منقذي قضـــيت بـه وقت لااعلم اهو دقائق ام ســـاعات ام هو الدهر باكملـه افرغت ليلتها مافي معدتي وطهرت عن نفســـي ماعلق بها من خطيئه لم اقترفها لحظه اغتيال براءتي وبكيت عمري الذي ودعتـه في تلك الليلـه وماهي الا لحظات حتي اتاني صوته من الخارج ينذرني بالخروج من الحمام

خرجت وانا ارتجف خوفا من تكرار التجربـه لكنـه كـان رحيما فلم يكررها ليلتها بل تركني اذهب لانام كالذبيحه في الفراش بعد ان اطفا نور الشقه بالكامل

طلبت منه اضاءه اي مصباح خارج غرفه النوم واخبرته انني اخاف الضلمه ضحك بصوت عالي وقال نامي ياصغيرتي لن يطلع العفريت

تمتمت لحظتها العفريت يســـكن بداخلي هربت ليلتها لنور الحمام قضـيت به وقتا طويلا حتي طلع النهار فخرجت مسلمه نفسـي للسـرير وكانني مسوقه الي قدري وتكررت الماساه الليالي التاليه يفرغ مني لافرغ ماباحشائي ويطفيء النور لينام واهرب للحمام حتي طلوع النهار

عندما ذهبت بعد ايام من زواجي الي الجامعه التفت حولي البنات وهن يتغامزن ويتسـائلن في فضـول وكانهن كن بانتظاري لاحكي لهم

تفاصيل ليله العمر لكنني لم يكن عندي ماارويه لهن من لحظات بهجه لان اللحظات التي تحتفظ بها كل بنت ليله زواجها هي لحظات للفرح اما انا فليلتي كانت ليله لاغتيال احلامي وبراءتي معا كانت خطيئه علي ان اداري نفسي منها فتعللت لهن بانني اخزي وكنت اتحرج فعلا مما اصاب روحي قبل جسدي

لم تك حياتي سهله او ميسره بل كانت المتاعب مجسده امامي وكيف لي ان اراعي زوج وبيت ودراسه ومتطلبات حياه يوميه وانا غير محمله بالخبره التي تعينني علي ذلك ناهيك عن تندره امام الاهل والاقارب والاصدقاء علي اذا اخطات في عمل شيء والاكثر تندره علي خوفي من الضلمه والصوت العالي كنت اخزي من نفسي واخبره الا يفعل ذلك وان يظل مابيننا سرا لايحكي لكنه كان بفجاجه يرد (ودي فيها ايه انا لا اخجل من شئ) كنت استغربه واستغرب سلوكه واستشعر بداخلي العار

كان وجعي يزداد داخلي دون ان افصح عنه او يتركني هو.

قررت الا اذكر كلمه الخوف امامه واستعنت علي ذلك بالاصرار تاره وبالصمت تاره اخري وبالمهدئات كثيرا

سارت الحياه وسرت معها مغيبه او فاقده للاراده كنت اضغط علي نفسي واجبرها علي التواؤم فاذهب الي الجامعه محمله بقوه احلامي ان

انهي دراســـتي بتفوق فلم تعد الجامعه بالنســـبه لي كما كانت انطلاق وحياه بل اصبحت عبئ نفسي مضاف بتواجدي وسط من هم في مثل ســني ولا اســتطيع التعامل مثلهم فاانا ســيده متزوجه كنت اخجل كوني امراءه افكر في البيت والاكل ومتطلبات الزوج

وكان عيبا ان تصــاحب بنت غير متزوجه ســيده متزوجه حتي لو كانت اصغر منها سنا هكذا كان يفكر المجتمع ففرض عزلته علي....

واقتصــر ذهابي للجامعه علي حضــور المحاضــرات والامتحانات وانفصلت تماما عن حياه الشباب ولهوهم في سني ومن النشاط الطلابي والمشـــاركه في الحفلات الطلابيه والرحلات ببســـاطه حرمت حياتي الجامعيه

وانفصـلت زميلاتي عني لانني احيا ظروف مختلفه عنهن وايضـا لم تعد حواراتنا مشــتركه ففرض ايضــا الزواج علي الانفصــال عن واقعي الحقيقي لاعيش واقعا مغايرانتزع من واقعي وازرع بواقع اخر ليس تربتي الخصبه

واعود الي البيت ويـالهـا من عوده تنتهك فيهـا الحيـاه علي كـافـه المســـتويات فقد كان هوالمثقف الثوري ولديه من الاصـــدقاء اعداد لاتحصـــي يملؤون البيت بضـــجيجهم يوميا قبل ان يرحلو ومنهم من يمضي ليلته واحيانا ليال بالبيت

عشت حياه ليست لها خصوصيه علي اي مستوي من المستويات من حق اي احد ان يتدخل في الخاص والعام وعلي ان اســـتمع واهز راســـي بالموافقه والا النهر والتوبيخ ينالان مني واحيانا كانت تمتد يداه لتصفع وجهي دون ان انطق بكلمه حتي لايزداد الصفع

كان زواجي صـــفقه فاخوتي اصـــدقائه وهم بنفس فصـــيله الحزبي والذي كان لزاما عليهم ان يتزوجوا من بعض فتتوطد علاقاتهم الحزبيه فلقد كانو اشبه بالقبائل البدويه التي تتزوج من بعضـها البعض ولاتسمح للغربـاء من الاقتراب من بنـاتهم و كـان نصـــيبي ان اتزوجـه دون ان اعرف اي شيء عنه او عن فكرهم السياسي

وكانت فرصـــته ليعلمني علي يديه كما قال لكن التمرد بداخلي كان يرفض طريفته وسلوكه المتبع معي

كثيرا من حواراتهم التي كنت اســـتمع اليها كانت تدور حول الحريه ورفض التبعيـه وفي نفس الوقت كـان يصـــر ان اكون تـابع لـه كنـت ارفض واحـاور نفســـي مـاهـذه الازدواجيـه في المعـايير بين النظريـه والتطبيق لم اتحمس يوما ان اقرا كتب ماركس اولينين والتي كانت تملا منزلنا واجدها بكل ركن في البيت كنت اعشـــق الشـــعر والادب تربيت علي قراءه اشعار نزار كنت اجد نفسي كااي بنت في سني بين حروف كلماته واذوب عشقا بدون حبيب

وكانت الاغاني الرومانســـيه لنجاه الصـــغيره هي ماتربيت عليه وتخيلت جاري اللي ســاكن قصــاد ي هو فارس الاحلام والتي ســوف استيقظ علي فرحه ويصبح مش نصيبي

كانت تلك احلامي التي تحطمت مع مقولات لينين وماركس وانجلز ووجدتني اســـمع مجبره الشـــيخ امام واحمد نجم كنت طفله مازلت فوضعت بيني وبين ماسمعه سدادات من الرفض لاذنيي

كانت الثوره والكفاح المسلح وحرب الشوارع والطبقيه واستغلال راس المال كل ماسمعه وعندما اخلو لنفسي استعيد ذكرياتي مع نزار واقرا اني خيرتك فااختاري مابين الموت علي صدري او فوق دفاتر اشعاري.

واتحسر علي مافقدت من رومانسيه وضياع احلامي لم يعوضني عنها ســوي كلب صــغير اهداني اياه اخو زوجي الصــغير فكنت ادلله والعب معه وامارس طفولتي المهدره وكان هذا الكلب الصـــغير من نوع نادر صغير الحجم لايكبر وكنت اذا فتحت باب الشقه يجري علي سلم العماره فااخرج وراءه لاادخله الي البيت وكانت تلك لعبته المفضله وفي احدي المرات وهو يجري علي سلم العماره فوجئت بجارنا يحمله ويعطيه لي ومعه اشـــعار نزار التي كان يعرف من اخته انني احب اشـــعاره فاابتسمت له شاكره ودخلت الي الشقه واغلقت الباب فاذا بزوجي يحمل الكلب ويقذفني به فابتعد ليصـــطدم بالحائط المقابل وينزل الي الارض ويتحول هذا الكائن الصـــغير الي مارد يهجم علي زوجي وهو ينبح

ويتعلق في قدمه وهو ينهش فيه فيصيبه وانا اضحك من هول المفاجاه وهو ينهال علي بافظع الشتائم لانني اقف واتحدث مع هذا التافه الذي لايقراء سوي اشعار نزار ومن لحظتها اعلن الكلب عداوته الصريحه له فلم يترك له اي شئ من متعلقاته الا ومزقه ابتداء من جواربه وحتي كتبه والنقود الورقيه التي تخصه وبعدها بفتره اختفي الكلب فجاءه من البيت وقال زوجي (محتمل ان احدا قد سرقه لانه من سلاله نادره) كنت اعلم انه من سربه ولكني لم اجرؤ علي مواجهته بذلك لكنني حزنت كثيرا لفقده.

ومر زواجي وانا اتمرد بداخلي دون ان اعلن تمردي حتي وجاءت الفكره تتسلل لراسي لما لاتستمعي وحدك لاغاني الشيخ امام ونجم.

ولما لاتقراين الكتب التي تنتشر في كل ارجاء البيت وبدات رحله الاكتشاف بنفسي وبدون ان يعلم هو ماانتويت فعله قراءت ووعيت وادركت وقتها ان العيب ليس بالنظريه ولكن بالتطبيق والفهم الضيق من جانبهم وان الفوضويه التي اراها ابتداء من من البيت وانتهاء بحياتنا ليست الا فوضاهم اما النظريات بالكتب فهي مع الانسان مع الخير والحق والاخلاق والجمال كنت استمتع بالقراءه مع فنجان قهوتي المظبوطه وهي متعتي الخاصه الوحيده.

عاده تعودتها من صغري فقد كان ابي عاشقا للقهوه وكنت انا عاشقه لوالدي فاحببتها وصارت مع الكبر عادتي التي احب.

وبدات ارصد تصرفاتهم التي تخالف تماما ماقراءت وعارضت كنت ارفض سلوكهم الانتهازي المترتب علي اعتناقهم الفكره وحين واتتني الفرصه ناقشت وانا متسلحه بالقراءه وبرؤيتي للجانب المضئ في الموضوع وكانت الصدمه بالنسبه له عندما تحديته ان يستطيع بفكره ان يصل بافكاره للانسان البسيط في الشارع

وانه هو واصدقاءه او رفاقه كما كان يطلق عليهم لن يستطيعوا ان يفعلوا اكثر من الكلام داخل الغرف المغلقه مع التدخين المستمر وتناول المشروبات وانهم منفصلون عن الناس وعن الواقع الذي يعيشون فيه ونالني يومها مانالني من توبيخ وعنف جسدي زادني عندا واصرارا علي رايي

وكانني يومها قد وضعته امام مراه نفسه هو واصدقاءه فراؤا انفسهم وقد تعروا تماما وراعيت نظرات الكراهيه تملؤهم تجاهي.

بعد هذه الواقعه بفتره حاول معي مره اخري كان يتودد وهو يعرض وقال لي "مستعد اقعد معاكي واشرحلك كل حاجه وماينفعش نبقي كلنا في الحزب وانت لا لازم تنضمي معانا ودي اللايحه بتاعه الحزب اقريها واللي ماتفهمهوش سوف اكون معك فيه " وترك لي اللائحه كي اقرءها.

قراءتها وحاولت ان اقنع نفســـي لكني من داخلي عقلي كان يرفض وعندما ســالني قلت له انني ارفض ان انضــم لاي حزب تحت الارض او فوقه فاانا كائن حر لااحب القيود والاهم انا لم اجد نفســـي في تلك الوريقات.

وتكررت محاولاته وتكرر رفضــي ونسـفي للفكره من الاسـاس فكنت اواجه بااســـوء معامله ممكن ان يعاملها زوج لزوجته ومع ذلك تحملت لانني كنت اتذكر مقوله اخي صـديقه وزميله ورفيقه ان زواجك به زواج ليس به طلاق.

وتذكرت انني اذا لجات لابي سيكون الطلاق والانتظار في بيت ابي لزواج اخر فقررت الاحتمال حتي انهي دراستي الجامعيه واحصل بذلك علي حريتي

لم يكن سلوكهم الفوضـوي فقط في تصـرفاتهم الشـخصـيه لكنه كان يمســـني بشـــكل مباشـــروكم كنت اعاني من التصـــرفات الفوضـــويه والصبيانيه

وكم تعرضـت للتحرش اللفظي والجسـدي كنت اقاوم واقاوم منهم من كان يسـتجيب للمقاومه بالابتعاد ومنهم من كان كبرياءه يابي ان يرفض فيتربص للايقـاع بيني وبين زوجي حتي يطـالني العنف المتوقع فـاذا لم اســـتجيب فتكون الطامه الكبري وهي اتهامي بانني اقيم علاقه مع احد

يختـار بعنـايـه فيكون اولا غير منظم معهم ويكون الاضـــعف حتي لايستطيع الدفاع عن نفسه او الزهو بنفسه انه من استطاع الوصول لما لم يستطيعوا هم الوصول اليه كانت تصرفاتهم في العلن غير تصرفاتهم الغير معلنه وراءيت فيهم الانفصام هم مرضي بشكل او باخر

كنت اشــكو لزوجي تطاولهم وتحرشــهم وبدلا من تصــديقي كانت افظع الالفاظ تتطـالني مع الاتهـام بـانني افتري عليهم لانني اغيرعليـه من علاقته بهم لم يحاول حتي في مره من المرات ان يتاكد من صــدق كلامي كان مغيبا.

فتحت عيني متسائله

ماذا يجري

من هذا الذي صاحبني طيله ليلي ومازال

من ذا الذي يطاردني ويدفعني للهرب فاجري راكضـه دون ان اعرف لماذا ولا الي اين او متي

لماذا يتعمد الغريب ايذائي

ماهذا الهوس الذي يطل من عينيه كلما نظرت ورائي واصـــطدمت عيني بعينيه

مجهول طاردني بالحاح فاهرب منه باخلاص يتعمد ان يلقيني في بئر مظلم سحيق بينما تحلق حول راسه رؤوس شائهه الملامح بلا اجساد لااعرفها لكنها تتربص بي بلا حرج ولا خجل

تسارعت دقات قلبي واصبحت قدماي تسبقاني جريا والطريق تنسحب من تحت قدماي وسؤال ملح يقرع راسي بعنف متي تتحول الحياه لاحلام مشرقه وتختفي من الليل اشباح الكوابيس المزعجه

آثرت الا احكي له او اشكو ماكان منهم واكتفيت ان اصد تحرشهم واتحاشاهم واتعمد في وجودهم ان اترك البيت متعلله بالذهاب لاي مكان حتي يغادروا

وغالبا كانو لايغادرون البيت لايام متتاليه يقضونها في نقاشات عقيمه لاتقدم شيء وسارت الحياه بحلوها ومرها وقطعها ولادتي لابني الاول تلته ابنتي بعد نحو سنتان كانا هما شغلي وحياتي وكانا ايضا عبئ اضيف بجانب دراستي لكنني حرصت علي انهاء دراستي الجامعيه وكم كنت وانا اذهب للجامعه احمل امالي للمستقبل واحمل اطفالي في احشائي وكم كنت مثيره للشفقه من زملائي وزميلاتي اللذين يكبرونني ومع ذلك كانوا يشفقون علي وعلي حالتي وانا حامل وكنت امل ان انهي سنين دراستي حتي ارحم نفسي من نظرات زملائي حتي اجتزت اخر عام دراسي وحصلت علي شهادتي التي اهللتني للتعيين بوظيفتي مدرسه باحدي مدارس البنات بالمنصوره كانت تلك المدرسه

تقع في المنتصـــف مابين الشـــارع التجاري الراقي والذي يطلق عليه السكه الجديده وبين شارع صيام وهو الشارع الذي يضج بحياة العوالم وهي حياه فقيره في معيشتها اليوميه وغنيه بفنها في لياليهم وافراحهم

لم اكن اعلم اي شئ عن هذا الشارع حتي عينت في هذه المدرسه وكنت في طريقي لاحد الفصول واذا بي استمع لاصوات طبل وغناء وبالطبع رقص

اسرعت الخطي لادخل للفصل فعم السكون ارجاءه وتساءلت غناء وطبل اين هن الراقصات وذهلت حين وقفت نصف طالبات الفصل يعلن عن انفسهن" نحن الراقصات ياابله" صعقت وقتها وسألتهن" انتو فعلا راقصات"ضحكن وقلن لي انظري من النافذه الي الشارع الخلفي للمدرسه هو شارعنا كلنا راقصات او ابناء راقصات او طبالين او عوادين ودي حياتنا واخذني هذا العالم السحري الذي اهتممت بان اتابعه واعرف الكثير عنه ورأيت حياتهم صباحا والذي كان يظللها الفقر والعوز وكنت استمع لخناقاتهم من خلف نافذه الفصل واتعجب لكم الصراحه التي يعيش بها هؤلاء البشر لكنهم كانوا اوضح واشرف ممن تعاملت معهم وهم يتخفون وراء الاقنعه.

اما العوالم فاقنعتهم لزوم العمل وسعيا للقمه العيش فالاصباغ والالوان والملابس المتلالئه ماهي الا استكمال لحاله لكن الراقصه او الطبال او العواد ليس لهم ظاهر وباطن هم واضحين وضوح مهنتهم

اصبحت حياتي تضج بالفعل والحركه مابين عملي وزملائي الجدد وبين ابنائي ومتابعه تربيتهم ونموهم وهو منشغل عني دائما مابين عمله وبين السياسه واصدقائه اللذين لاينقطعون عن البيت فازدادت المسئوليات الملقاه علي عاتقي وبدات استشعر الارهاق يزحف الي روحي حتي جاءت امي لزيارتي في احدي المناسبات وشاهدت معاناتي فخففت عني بان اقترحت ان تاخذ ابنائي معها تساعدني في تربيتهم وخاصه انها كانت تتعلق بهم خاصه ابنتي واستطيع متي اردت ان اذهب واراهم وفي الاجازه يعودو او اذهب انا لاقيم معهم وكانت فرصه لي حتي اشتم قليلا من الراحه واستطيع التوفيق مابين عملي وبين بيتي الذي لم يكن يوما بيتي وكانت امي تاتيني بابنائي في الاعياد لنحتفل سويا وتمضي معنا العيد ثم تغادر هي واولادي فكنت وقتها استشعر العيد بوجودهم معي ومرت الايام حتي بلغ ابني عامه الخامس فاحضرته امي كي نحتفل سويا معه بعيد ميلاده وايضا بعيد الاضحي وفي ذلك اليوم حدث واقعه اغتيال السادات ووجدت زوجي يحتفل باغتياله اكثر من احتفاله بعيد مولد ابنه وانقبضت فالموت له رهبه اما هو فكان يحتفل وكذلك اصدقاءه هللو لهذا الحدث حتي انهم خرجوا للشارع يحتفلون ويوزعون زجاجات المياه الغازيه غادرت امي بعد انتهاء ايام العيد والاحتفال بعيد مولد ابني مسافره واصطحبت معها ابنتي اما ابني فتركته لانه سوف يدخل الي المدرسه وكان علي ان اهيئه واحضره لعالم جديد سيدخله وتناسيت موقف زوجي ليله الاحتفال لكن الخوف منه استقر بداخلي حتي مر علي

مقتل السادات حوالي شهراو اكثر قليلا وكنا قد توصلنا انا وزوجي لصيغه للانفصال بعد استحاله العشره والتفاهم وياسه من امكانيه انضمامي لهم ولافكارهم بالتراضي مره وبالعنف مرات وقد وعد امي انه سيقوم بتنفيذ طلباتي كلها لكنه ارجا الامر الي ان ينتظم الولد بمدرسته ويعتادها لانه سيتركنا وحدنا ويذهب الي بيت اهله وسافرت امي وتركتنا في حاله انفصال الي ان تتخذ الاجراءات التاليه لذلك بالاتفاق مع ابي واخوتي

كنت بغرفتي انا وابني الذي كان ينام بجانبي حتي اوقظه باكر واحضره لمدرسته ليخرج معي واوصله اليها في طريقي لعملي وكان زوجي يجلس في حجره اخري والليل انتصف سمعت طرقات علي باب الشقه وسمعته يفتح الباب واصوات بشر كثيره بالخارج كانت غير طبيعيه قمت علي الفور لافتح باب غرفتي لاجد الشرطه وهم مدججين باسلحتهم التي كانو يشهرونها في وجوهنا وانتشروا في البيت يبعثرون في الاشياء ويفتشون اي شئ وكل شئ انقلب راسا علي غقب وطلبوا منه ان يخرج معهم بعد ان يرتدي ملابسه فطلب مني ان اجهز له شنطه ملابس بدون ان استفسر جهزتها فالامور كانت قد فسرت نفسها

ارتدي ملابسه وحمل شنطته وخرج معهم بعد ان وضع احدهم الكلبش في يده كان هذا الموقف من اكثر المواقف تعاطف معه فانا لم

اتعاطف معه مره بحياتي من قبل وهو الشـــخص الذي كان دائما يفخر بان الخوف لو كان رجلا لقتله

ســـالته مره الم تخف ولو مره وحيده بحياتك قال عمري ولو كان الخوف رجلا لصرعته

لم اتصـور يومها ان من يحمل افكار يعامل معامله المجرم قضـيت ليلتها احاول ان اجمع نفســي وافكر ماذا افعل وهو لم يدلني او يشــير علي بما افعل

قضـيت الليل في اعاده الاشـياء الي اماكنها واعاده ترتيب الفوضــي التي خلفها التفتيش

ومع اول خيوط النهار ارتديت ملابســـي واطمانننت ان ابني مازال يغط في نومه فقد بقي امامه ســـاعتان حتي يســـتيقظ وذهبت الي بيت عائلته اخبرهم وكان اخبارهم بمثابه دمار وقع عليهم مابين صـــراخ من امه وتسـاؤل من ابيه واسـتنكار من اخيه تركتهم وغادرت وانا ليس معي اجابه لاي ســـؤال كان تفكيري قد هداني للذهاب لصـــديقه وزميله في حزبهم

كان يقطن بالقرب منا عندما راني صـــباحا اطرق بابه بادرني بالسـؤال جوزك اتقبض عليه رددت عليه بالإيجاب فقال لي وكيف تاتين الي بيتي انت تعرضيني للخطر

نظرت له وغادرت وهو ينادي ويعتذر حتي تلاشي صوته من اذناي

عدت الي بيتي وقلت لنفســـي عليكي ان تهداءي حتي تســـتطيعين التعامل مع الموقف ايقظت ابني الذي لم يشـــعر بما حدث في الليله الماضـيه وجهزته ليومه الدراســي وارتديت ملابســي واتجهت الي عملي وتعاملت كالمعتاد حتي انتهي يوم العمل وفي طريق عودتي اتصـــلت بااهلي اخبرتهم ماحدث طلبت مني امي الوقوف بجواره فهو الان بمحنه ولابد ان اقف بجانبه

وانهت المكالمه معي بانها ستكون عندي صـبيحه اليوم التالي عدت الي بيتي وانا شـــبه منهكه من ليله طويله لااعلم كيف مرت ولم اتلقي قسـط من الراحه في طريق عودتي تذكرت انني لم اتناول اي طعام من اليوم الســابق وعندي ولد لابد ان ياكل ويراعي فاحضــرت وجبه جاهزه كي نتناولها وبعدهااخلد للنوم حتي اسـتطيع التعامل مع موقف ادرك انه اكبر مني ومن تجربتي واحتمالي

حين دخلت شقتي وجدت امه بانتظاري كانت تبكي وتصرخ وتهذي حـاولت طمـانتها ونبهتها لوجود الطفل الذي لايعرف شـــيئاودعوتها لتقاسـمناتناول الوجبه التي احضـرتها فماكان منها الا انها زادت بكاءها وان ابنهـا الله اعلم ان كـان تنـاول اكـل ام لا تركـت الاكـل وداخلي احساس المدان ودخلت حتي اغفو قليلا لكنها ابت ان ترحمني وبكلمات موجعه قالت (ازاي يجيلك نوم وجوزك مقبوض عليه)

رددت عليها مش انا السبب في حبس ابنك و ماهو عشان محبوس لازم اكل ولازم انام عشـــان اقدر اقاوم انا عارفه انا داخله علي ايه هاتروحي انتي تدوري عليه في الاقسام والسجون

ابنك في الصـــباح قالها بصـــراحه لازم تبعدوا عن الموضـــوع ده عشـان مركزه وهو الظابط اللي خايف علي مسـتقبله وزوجك امن علي الكلام ده وقالك مراته هي اللي تدورعليه خلينا احنا بعيد عشـــان اخوه مايتضرش فارجوكي بقي سيبيني اخرج او اكل انا حره اوانام

تركتها بعد انفعالي وحملت الاكل ودخلت الي حجرتي واغلقت الباب تناولت قطعه من العيش لوكتها في فمي لم اســتطع بلعها اخرجتها من فمي وشربت بعض الماء واستلقيت نائمه لمده ساعتان استعدت توازني فيهم لاخرج من حجرتي اجد الشـــقه مملؤه برفاقه يجالســـون امه وكل شـيء يقال واي شـيء يقال ولم اسمع احد منهم يسـالني او حتي يجيب علي تسـاؤلات داخلي كيف سـااعرف طريقه وماذا سـافعل كان الجميع يطمئن امه اما انا فقد كانت الاسئله تضـغط علي راسـي وتفصـلني عن عالمهم الذي يتحاورون فيه وكانت امنيتي ان يمضـــي الليل لتاتي امي و معها احد اخوتي فااعرف كيف اتصرف

في الفجر وانا اغفو وجدت امـه تنـادي علي فتحت عيني لاجدها تقف امامي وتسالني هل انت نائمه

رددت عليها كنت نائمه اما الان فقد اســتيقظت وســالتها ماذا تريد ردت عاوزه اعرف هما لما فتشـــوا وجدوا عندكم ايه وفين الفلوس اللي جوزك كان بياخدها من الحزب بتاعه

اعتدلت في جلســـتي وانا اكتم غيظي وانفعالي وقلت لها انهم لم يجدوا شيئا

قالت اذا لم يجدوا شـــئ فلماذا قبضـــوا عليه وبدلا من ان ارد عليها قمت مسرعه وارتديت ملابسي وبسرعه كنت اسير في الشوارع ليس لي وجهه محدده الا ان يطلع النهار حتي اعود لاخذ ابني ونذهب الي مدرسته وعملي

في طريقي اشـــتريت الجريده وعدت الي البيت وبمجرد ان دخلت وجدتها تجلس لتعتذر عما قالته وقالت انها سمعت هذا الكلام من اخوه وابيه

قلت لها لا وكمان الجرايد قايله نفس الكلام لكن صـــدقيني لم يكن هناك شـــئ تناولت مني الجريده فهممت بارتداء ملابســـي وجهزت ابني وخرجنا تاركينها منهمكه في قراءه الجريده

ذهبت لمقر عملي فوجدت بزميله لي في العمل تجذبني من كتفي وتقول لي تعالي عاوزاكي

ذهبت معها لغرفه بمقر عملنا لم يكن بها احد اغلقت هي باب الغرفه وقالت لي انا عارفه ان زوجك اتقبض عليه بالامس ورحلوه للقاهره وعلي فكره هيه مش قضيه هما هايتحبسوا شويه ويخرجو عشان اساسا مفيش قضيه

استغربت من كم المعلومات اللي عندها واستطردت: اذا اردتي زيارته او معرفه مكانه انا راح اخبرك غدا بس رجاء ده ليكي اوعي حد يعرف اني قلت لك

زاد استغرابي واصريت ان اعرف كيف اتت بكل هذه المعلومات ردت زوجي ضابط امن دوله وهو من كان عندك بالشقه وكان بيحكي الموضوع مع احد زملاءه في التليفون صباحا ثم نظر ناحيتي وقالي علي فكره ده جوز زميلتك

قالت: سالته طب وزميلتي فقال لا مالهاش دعوه بحاجه وبعدين دي قضيه بايظه كبيره ياخد له شهرين تلاته ويطلع هما بس بيربو الشيوعيين شويه

لم اعقب علي كلامها لكنني وعدتها الا ابوح بما تحدثت معي فيه علي ان تدلني علي مكان تواجده وتساعدني في الحصول علي تصريح للزياره اذا امكن

عدت لمنزلي لاجد امي وابنتي قد حضرتا وحدهن ولم يحضر معهن احد من اخوتي حضـرتا وحضـر معهن الامان احتضـنتني وربتت علي ظهري فااطمئننت وجدتها قد اعدت الطعام ورتبت البيت واشـــاعت فيه بعض من البهجه والسلام

ذهبت معها مخاوفي

تناولت طعامي وبعدها طلبت مني امي ان نختلي في حجره وحدنا دخلت معها واغلقت الحجره وجلست بجوارها فقالت

شوفي يابنتي الله اعلم كم سيطول غياب زوجك المهم ان البيت لازم يتفتح وتعيشـــي وتروحي شـــغلك لازم الحياه تســـير هو مش مدان في قضيه اخلاقيه دي قضيه سياسيه كلها وقت ويرجع

لمحت امي دموع متحجره بمقله العين فاابتسمت قائله اعلم انك كنت علي وشـــك الانفصـــال عنه لكن القدر اراد ذلك اللي تعمليه دلوقت ماتتخليش عنه ومدت يدها بمظروف مملوء بالنقود قائله:

ماتعرفيش ايه الي جاي الفلوس دي تخليها معاكي تصـــرفي منها علي سـفرك لزيارته ولطلباته ولما تخلص تتصـلي بي انا ادبر لك مبلغ تاني او تبيعي الذهب الخاص بيكي

احنا ولاد اصول لانتخلي عن ازواجنا وقت محنتهم اومات لها راسي موافقه فاحتضنتني وهي تعلم تماما ماكان يدور براسي

في اليوم التالي قابلت زميله العمل التي اخبرتني انهم رحلوا الي سجن المرج وانني يمكنني استخراج تصريح زياره من النيابه العامه بالقاهره بعد مرور اسبوعين

طوال الايام التاليه كنت افكر كيف سااذهب للقاهره واذهب للنيابه ثم السجن كنت لااعلم المجهول القادم وفي نفس الوقت كنت احضر زياره له من اكل ولبس ودواء واحضر كرتونه لوضع الاشياء بها واستعنت بجارتي تساعدني بعد سفر امي وابنتي وتركي لمصير لااعلمه

المجهول يدق بابي بشده

وانا لااستطيع ان اقبض عليه

ولاهو مني يفر

ينطفئ وهج الروح

وتتحول الاحلام لكوابيس

العن منفاي والعن صبري

ساكسر كل جبال الصبر

رغم الابواب المغلقه في وجهي

ساطرد تلال الصمت الموحش داخلي

واتمرد علي كل قيودي

شط السجون...

كانت تجربه زيارات السجون جديده علي لم اكن قد تعاملت في حياتي مع عسكري حتي فما بال بذهابي للنيابه واستخراج تصريح للسجن ثم الذهاب للسجن ذاته وخوفي من الذهاب فالسجون كل علاقتي بها تنحصر في افلام السينما التي اشاهدها اما الواقع فهذه لحظه الاختبار الحقيقيه

استكملت مستلزمات الزياره واخذت معي ابن جارتي ليحمل عني الشنطه والكرتونه التي اعددت له فيها اشياءه واتجهنا للقاهره لاستخراج تصريح الزياره بعد ان عهدت لجارتي بمسئوليه ابني وكم كان وكيل النيابه رحيما حين عرف انني اتيت من مدينه اخري فااستخرج التصريح بالزياره لنفس اليوم

حصلت علي ا لتصريح ونظرت الي اي مكان سوف اتوجه فوجدته مكتوب لسجن المرج كما قالت زميلتي والتي عاونتني باعطائي رقم

القضـيه فااختصـرت علي مسـافات كان من الممكن ان اقطعها حتي احصل علي الرقم

توجهنا انا وابن جارتي الي المرج بعد ان اسـتعلمنا عن الطريق الذي لم يكن قريبا وبعد ماقطعت العربه الطريق وصلنا الي المرج كان المكان موحش وخالي من البشـر اللهم الا الزائرين امثالنا والذين لهم ابناء اواقارب بالداخل

ناولنا العسـكري التصـريح فامرنا بالانتظار الذي طال فبداء القلق يصيبني والاجهاد من طول الرحله فجلست علي الكرتونه لكي استريح ودعوت ابن جارتي ان يجلس علي الشنطه

وبعد لحظات سمعنا باب السجن يفتح وينادي العسكري علينا فحملنا مامعنا وتوجهنا للداخل تسلم منا عسكري اخر مامعنا من اشياء للتفتيش وتسليمها له بعد الزياره

واخذنا اخر بعد تفتيشـنا وتفتيش حقيبه يدي الي مكان الزياره جاء زوجي وعليه علامات الاعياء سلم علينا وقال ان الامر ماهو الا اجراء احترازي وهم ليس عليهم شئ

اخبرته بالاشياء التي احضرتها له ووجدته قد اعد كشفا كبيرا باشياء اخري طلبها لاحضرها عندما اتي الزياره القادمه

سالته هل تتعرضون للتعذيب رد مبتسما لا لكننا دخلنا في اضراب لمده ايام حتي تنفذ لنا بعض الطلبات وعندما استجابت اداره السجن انتهي الاضراب عن الطعام

اخبرنا العسكري ان وقت الزياره انتهي من قبل حضورنا لاننا تاخرنا بفعل طول الطريق وان هذه الزياره استثناء وعلي مسئوليه المامور وامن زوجي علي كلامه وقال الزياره القادمه لابد من المبيت في القاهره حتي تلحقي بميعاد الزياره

سلمنا عليه وغادرت المكان وانا اتمني من كل قلبي الا اعاود تلك الرحله مره اخري

استغربت جدا ان زوجي لم يسال عن اهله الا بالسلام ولم يسال عن احد من رفاقه كل ماسال عنه احوالي هل هي علي مايرام والماديات وهل معي فائض من النقود حتي اترك له في الامانات تركت له كل مامعي من نقود في الامانات ولم يتبق معي سوي مصاريف عودتنا الي بلدتنا انا والطفل الذي معي والذي تحمل برجوله عناء الرحله معي

واستغرقني ايضا كل هذه الطلبات التي طلبها من اين اتي بها وهل اخبر والدتي لترسل لي مبلغ اخر من المال ام ابيع متعلقاتي الذهبيه وكان الاختيار الثاني

في اليوم التالي وبعد ان ارتحت من عناء السفر وتساؤلات اهله واصدقائه عنه وانصرافهم قمت الي دولابي وفتحته واخرجت الذهب الذي بحوزتي كله

لم يكن كثيرا لكنه ايضا لم يكن قليلا تفحصته قطعه قطعه مستعيده ذكرياتي مع كل قطعه

دي بمناسبه عيد ميلادي كانت هديه من جدتي لامي ودي بمناسبه نجاحي هديه من خالي العزيز ودي لتفوقي منه ايضا ودي ودي ولم اجد قطعه واحده تجمع ذكراها مع زوجي

لان مايجمعني به قالت لي امي الا اتصرف فيه وهو شبكته التي لاتحمل اي ذكري للفرح بل هي ذكره مؤلمه اخترت خاتم صغير كنت ارتديه وانا طفله كان اول خاتم ارتديه مع اول يوم لذهابي للمدرسه وكان هديه خالي وابتسمت وانا اردد داخلي لا لن افرط فيه ساحتفظ به لابنتي لترتديه يوم دخولها المدرسه

وضعته في سلسله رقبتي والتي وجدتها وانا طفله علي البحر والتي لاتغادر عنقي من يومها فكان يجاور دلايه عروس البحر وحملت الذهب لاضعه في شنطتي للصباح حتي ابيعه واشتري ماطلبه في الكشف

في اليوم التالي ذهبت الي عملي كالمعتاد وانجزت العمل لاتوجه للصائغ وابيع ذكرياتي واعود محمله بكراتين السجاير والملابس الداخليه والادويه وكل ماطلب مني

فوجدت امه بالمنزل وقد بادرتني: ايه ده كله وجبتي الفلوس منين يبقي بقي صحيح اللي بيتقال

سالتها: وماذا يقال

قالت: انهم لقوا فلوس ومنشورات يبقي هو بقي اعطاكي سره وقالك الفلوس اللي خدها منهم وداها فين

رددت : منهم ماذا تقصـــدين بمنهم وعن اي فلوس تتحدثين قالت الجرايد كلها كاتبه عن القضـــيه وقايليين انهم كانو عاوزين يقلبوا نظام الحكم وانهم وجدوا ببيوتهم مبالغ كبيره من المال امال انتي جايبه له الزياره بفلوسك

ولولا انها سـيده كبيره في السـن وهي ايضـا بلا وعي لم اناقشـها وضـعت الاشـياء عن يدي وابتسـمت لها مردده: لما يرجع ابنك ابقي اسئليه

وجاء ميعاد الزياره الثانيه قررت ان ابيت عند اخي المقيم بالقاهره وانطلق من عنده بدري لالحق بميعاد الزياره والتي فوجئت انها اصبحت في ليمان طره فقد تم نقلهم من سجن المرج الي مزرعه طره

ومن اين لي ان اعرف تلك الاماكن فاتصلت باخي من الشارع اساله فاارشدني كيف اركب وكيف اصل

كنت في طريقي الي ليمان طره والدموع تقطع طريقها من عيني سيرا علي وجهي اسرع من العربه التي استقلها وتقطع الطريق حتي وصلت

ووقفت انتظر الي ان سمحوا لنا بالزياره وفي تلك المره كانت الزياره للجميع سياسين سواء شيوعيين اوجماعات اسلاميه كانوا واضحين من هيئتهم ومن زي زويهم

وايضا كان بالزياره المساجين الجنائيين

كان زوجي يتحدث ويخبرني عن احوالهم ويستفسر عمن بالخارج من الاهل والاصدقاء

اما انا فكنت في منطقه اخري عيناي كانتا مثبتتان علي مسجون جنائي صغير السن يرتدي زي باللون الازرق وهو لبس السجون يزوره رجل وامراءه كبار السن يبدو انهم والداه وكانو يطعمونه من الاكل الذي

احضـــروه له وياكلون هم ايضـــا معه وكانت تجلس هي بنت ســـمراء عيونها تتحدث بكل مابداخلها تجاهه

كانت لغه العيون بينها وبينه هي اصـدق ماكان موجود للدرجه التي اختفي معه كل من كان متواجد بالمكان ولم يتبق امامي سـوي وجهيهما ونظره عيونهم والابتسام

داخلتني البهجه وتقاذفت روحي تيارات جارفه من البهجه والامل بهم فيبدو انها اما زوجته وهم متزوجين حديثا او هي خطيبته لكن الذي استقر داخلي وقتها

ان السجن لايمكن ان يسجن الحب

اتركني احطم جدران الشوق

واقتحم جبين الشمس كي

تناديني وتعلمني وتلملمني وتاويني

تخرج ذاك العصفور من داخل قفص الصدر

كي يطير ويرقص

يشعل في صدري بدلا منه نار الخصب

فاكسر قيودي واطير خارج جدران السجن

وتتردد داخلي الحب حريه

افقت علي صوت العسكري يعلمنا ان وقت الزياره انتهي قمت اسلم علي زوجي واستلم منه كشف الطلبات الجديد وايضا يطلب وضع مبلغ بالامانات

كل ذلك وانا عيني مثبته علي الشـــابين وفجاءه ونحن نهم بالخروج امسـك بيدها واخرج من جيبه عقدا قد صـنعه لها بيديه من لبابه الخبز الذي جف والبسه لها فاقتربت منه ليضع العقد حول رقبتها ويسرق قبله سـريعه من مقدمه راســها احمر معها وجهها خجلا وازداد معه جمالها جمال خاصــه بلبسـها الريفي الذي يحمل البهجه والفرح وكانها قصـدت ان يراها ويشتم رائحتها التي يالفها خارج السجن ولم لا وهي تاتي لتقابل حبيبها

غادرت المكان وانا عيني علي البنت تتوســـط الرجل والمراءه التي كانت تحيطها بذراعها في حنو

اما البنت فكانت مبتسمه وهي تمسك بالعقد المتدلي من صدرها فقد كان ثروتها ودليل حبه لها ابتســـمت لها وهي تنظر ناحيتي وتمســـك بيدها عقدها فوجدت نفس الوجه الجميل الذي عاشرني منذ طفولتي

هذا الوجه الذي الفته وعشت معه سري الصغير انني اعرفه جيدا كانت تشبه عروس البحر التي تاتيني في المساء

كان هذا المشهد كفيل بتغيير حالتي من الخوف والتوتر الي البهجه فقررت ان احمل ذاك المشهد معي في طريق العوده حتي لايعاود الخوف متسللا الي نفسي

كنت بنفسي اتمني لحظه اعيشها كما عاشتها تلك الفتاه السمراء ذات الابتسامه الخجلي

تمنيت ان يكون لي حبيبا يفكر في طيله ايام ابتعادي عنه ويصنع لي من الخبز الذي يتناوله عقدا يحمع بيني وبينه في لحظه عشق حقيقيه

عدت ليلتها الي بيتي واستسلمت لهدوء غريب وامنيه ان يتحقق حلمي الصغير لاتغادرني

جلست في سكون في غرفتي بجانب نافذتها الزجاجيه حتي غابت الشمس وعمت الظلمه المكان وحاصرتني جدرانه البارده التي غلفها جليد يجمد صدري ويغلق ابواب قلبي ويكتب السكون علي روحي

غرد عصفور غريب فجاءه علي الشجره المواجهه لنافذتي رد عليه عصفور انطلق من صدري

يرفرف بجناحيه ويثقب جليد القلب

تدخل معه بقعه ضوء تكبر وتكبر لتصبح شمسا

تغزو الجليد وتذيبه من الجدران

تمتلئ الحجره بالنور الذي ينعش الصدر

تعود الروح الشارده لتسكن القلب

نهضت من سريري بعد ليله استغرقت فيها في النوم مبتسمه لابداء يوم جديد ورحله عمل جديده واستعداد للزياره القادمه والتي لم اكن اعلم من اين ادبر المال اللازم لها

كانت زميلتي بالعمل تعرف جيدا حاجتي للمال فقامت بعمل جمعيه وبشكل سريع تجمعت نقودها وفاجئتني انني اقبضها الاول وقالت انها قالت لزميلاتي انني صاحبه اقتراح عملها لانني اريد تجديد شقتي

اخذت منها المال وانا افكر طب الزياره دي اتحلت والزياره الجايه من اين اتدبر احتياجاتها ولعنت اخوتي واهله والدنيا كلها التي اوقعتني بحمل يناي عنه الرجال

وتمر الايام ثقيله يقطعها اطمئنان امي علي وعلي احوالي وكنت لااخفي عليها كيف اتدبر المال اللازم لكل متطلباته ومتطلبات حياتي انا ايضا والتي كنت اقضيها بالمتاح والمتبقي

وجاءت الزياره الثالثه واعددت لها ماتيسر من متطلباته وذهبت لاستخراج تصريح الزياره وفي تلك المره اصطحبت معي ابني وصديق لزوجي اصرعلي زيارته معي وايضا اخي والذي كان يدرس بالقاهره

في هذه المره وجدتهم قد نقلوه الي سجن القناطر وصرخت بداخلي لما كل هذا العذاب ولما ادفع انا عناء نفسي بدون ان يكون اختياري وهل كتب علي ان اتجول هائمه علي وجهي بسجون مصر من مشرقها لمغربها

ذهبنا الي القناطر في تلك المره كان الامر مختلف فالطريق اجمل ومعي اثنان من الرجال يهونان علي الحمل والطريق وصلنا الي السجن وطبعا خضعنا للتفتيش وهذه المره تعرضت انا للتفتيش الذاتي مما رسخ اهانتي واذا باخي وصديق زوجي يدخلون في معركه كلاميه كادت تنتهي بمنعنا من الزياره والتي علم بها زوجي وزملائه بالداخل عن طريق العصفوره وهو احد العساكر بالداخل يشتري بالمال طبعا لينقل لهم الاخبار هذا ماعرفته من زوجي بعدها فاستخدموا اساليب للتصعيد مما ادي بمامور السجن للخروج لنا مباشره واستدعائنا بمكتبه وقدم لي

الاعتذار ومعه كوب من العصـــير واعرب اكثر من مره عن اســفه لما حدث معي

كنت اســتمع وابتلع كبريائي المهدر وتعلن دموعي عصـــيانها علي وماكان منه الا انه فتح مكتبه مستقبلا زوجي بالاعتذار واتي بالعسكري الذي اعتذر وترك لنا مكتبه لاستكمال الزياره مع اعطائنا نصف الساعه زياده عن الوقت المحدد لناعشان خاطر الصغير كما قال وهو يداعبه

خرج المامور تاركا لنا حجرته فاخذ زوجي ابني ووضـــعه علي قدمه وهو يمطره بالقبلات ويســاله عن مدرســته وبادره ابني بســؤاله: بابا هو انت بتشتغل مسجون

مما اثار ضـــحك الموجودين بالحجره ربت علي ظهره وقال له : لا انا في رحله للقناطرالخيريه

رد الصـغير بعفويه: طب انت في رحله انا وماما نتبهدل ليه الطريق وحش والعسـكري كان هايضـرب ماما انا ماعدتش عاوز اجي هنا تاني ولاعاوز ماما

غيرت مجري الحوار مع الصغير حتي لاركز الواقعه بذاكرته

اما زوجي فكان يعلم جيدا كيف يستثمر تلك الواقعه فقد اتي بخطابات من الداخل لاهالي زملائه كما اخبرني ووضعها بشنطه يدي وطلب مني توصيلها لشخص سيقوم هو بدوره بتوصيلها لاصحابها

كنت استغرب من طريقه تفكيره واتسائل بيني وبين نفسي كيف يضعني في موقف خطر وهو تهريب اوراق من داخل السجن للخارج وهل هي خطابات ام معلومات اوتعليمات

كانت دقات قلبي تتسارع كلما مر الوقت واقترب ميعاد مغادرتنا

دخل المامور والذي كان يدعي شعبان مبتسما يعلن عن اعتذاره للمره الاخيره وينهي الزياره ليصطحبنا حتي باب السجن مودعا حتي لااتعرض لموقف اخروعند الباب اخرج من جيبه باكو كبير من الشيكولاته واعطاه مع قبله لابني علي جبينه فودعته مبتسمه

خرجت وانا عازفه عن الكلام لتنطلق دموعي كشلال ماء يصب من عل او كعين ماء انفجرت للتو ولم اعرف هل هي حزنا علي كبريائي المهدرعلي يد عسكري السجن ام علي يد زوجي الذي استغل الواقعه هو ورفاقه كي يخرجوا اوراقهم خارج اسوار السجن

لكن ماكنت اعلمه واسره بيني وبين نفسي انني لن اذهب لزيارته مره اخري فليتحمل اهله اورفاقه بالخارج المسئوليه مره فلقد تعبت نفسيا

وماديا ووهنت قوتي فلا استطيع المقاومه وايضا لن اعرض ابني لهذا مره اخري

عدت الي بيتي وجاء صديق له اخبرته انني اريد منه اصطحابي الي منزل رفيقهم والذي سلمته كيسا مملوء بالاوراق والتي لم يدفعني الفضول وقتها ان اطلع علي مابها وغادرت بعد ان ابلغته انني لن ازوره مره اخري فلقد نفذت حيلي بعد ثلاث شهور في الحصول علي المال اللازم لهذه الزيارات والتي كانت تنهكني جسديا وماديا والاهم نفسيا

نمت ليلتها وانا سعيده بقراري فوجدتها امامي ربتت علي كتفي فتحت عيوني لاجدها جاءت لتهدم بيتي الرملي نظرت اليها نظره متسائله فهمت منها استنكاري لفعلتها

لكنها ابتسمت وهي منهمكه ببناء بيت اخر من الطوب الفضي كانت تمد يدها للقمر فتقتلع منه الحجاره الفضيه وتضعها فوق بعضا بشكل جمالي لتصنع منه بيتا اشبه بالقلعه وزينته بنجوم البحر واصدافه

قالت لي هذا بيتك ففرحت جدا

هذا البيت لن تقوي عليه امواج البحر

ولا اقدام العابرين

لكنني استشعرت الخوف يتسرب من برودته

نحيت الخوف جانبا ليترك مساحه للفرح

وضعت في يدي سمكه فضيه اللون

اخرجتها لتوها من البحر

كانت تنتفض بين يدي وتقفز فابتهج

افتح عيني مبتسمه ومتناسيه كل مامر بالزياره الاخيره للسجن واعيش لامارس حياتي العاديه غير محمله بهموم من اين اتي باحتياجات زوجي في السجن

مع فنجان قهوتي الصباحيه كنت اتنفس هواء جديد محمل بذرات من الامل

ويبقي الفراغ بعد ان تاهت الاحلام وضاعت في متاهات الاوهام وغلف الياس الحياه والروح وازدحمت الكوابيس تتزاحم وتسيطر علي الراس المجهد

وتساءلت لما تركوني في هذه الحياه التعسه دون ان يعلموني الزيف فالجمال باهت والقبح سيد الموقف ودموعي بطعم ملوحه ماء البحر الهائج بداخلي

ويمر العمر والمحصـــله لاشـــئ واتمتم لن تتغير الحياه ويكســـوها بعضامن جمال ..المحصله لاشئ

شط الضي...

بعد زيارتي الاخيره لزوجي بالســـجن بحوالي اســـبوعين اخذت ابني لجوله مسائيه وفي طريق عودتنا للبيت مررنا علي محل للاكل واشتريت ماطلبه صـــغيري وعدنا للمنزل وانا اصـــعد للســـلم وجدت نور البنايه مقطوع فتحسبت للصغير ان يصطدم في درجات السلم واخذت اتحسس طريقي في الظلام الي ان وصـلنا لباب شـقتنا كان المفتاح بيدي اخذت ابحث عن فتحته بالباب واعد صغيري بالضوء بالداخل فعندنا الشموع

قلت له: سنضئ الشمع ونتعشي في جو شاعري

ضـحك الصـغير وقال: هنعمل عيدميلاد قلت له: ليه لا نعمل عيد ميلاد

اخيرا وصـــلت لفتحه المفتاح بباب الشـــقه ادرته ودخلت فوجئت بانبعاث ضوء من حجره زوجي في الشقه كان بها مكتبه ومكتبته وكنبه نحولها في الليل لسـرير للنوم تركت باب الشـقه مفتوحا وامرت ابني ان يقف مكانه حتي اسـتطلع الامر ربما تكون جدته لابيه جاءت ولم تجدنا فانتظرتنا فهي معها مفتاح للشقه

دخلت وانا اتوجس خيفه حتي اقتربت من باب الحجره فوجدته هو يجلس علي طرف الكنبه ويبكي

كان زوجي اخذتني المفاجاه لدرجه انني لم اسلم عليه لكنني ناديت علي الصغير تعالي انه بابا قد اتي دخل الصغير مسرعا وذهبت الي باب شقتنا واغلقته ودخلت لاحضار المزيد من الشمع اضاءته وسلمت عليه ولم استفسر عن سر بكائه ولكن دعوته ان يقوم ليغير ملابسه وياتي حتي احضر العشاء فناكل حتي ينام الصغير

وبعدها اعرف سبب بكاءه تناولنا الطعام واعددت له كوب من الشاي واصطحبت الصغير لحجرته وجلست بجانبه حتي استسلم للنوم

خرجت بعدها وجلست قباله زوجي الذي لم ينظر تجاهي لحظه فبادرته بالسؤال :

لما كنت تبكي رد : كنت ابكي غبائي وابكي ثقتي في البشر حتي في اهلي فلقد مررت بعد خروجي اليوم ببيت اهلي كي اري امي وابي واخوتي وبعد السلام قدموا اعتذارهم عن عدم وقوفهم بجانبي بسبب خوفهم علي مستقبل اخي

وسالتهم من اين كنت تاتيني بزياراتي فاخبروني من فلوسك وهم ايضا لم يسالو وعلمت انك لم تصرفي راتبي ولم يعطيكي احد من رفاقي اي مال وانك طيله الشهور الثلاث الماضيه تتحملي ولم تسالي

احد جنيها واحدا فايقنت انني خطا كنت اضحي بمستقبلي تمن للاشئ وسالني :من اين كنت تصرفين ؟ اخبرته بما فعلت

كنت احكي وكان يبكي وهو مطاطا الراس حتي انتهيت قام من مكانه واتي ليجلس امامي علي ركبتيه علي الارض وينظر الي وجهي يتامله وكانه يتعرف علي للمره الاولي بحياته

جلس امامي علي الارض وهو يجثو علي ركبتيه ومسك بيدي وقال هذا وعد مني لن اعمل بالسياسه بعد الان

كانت ملامحه باهته في ضوء الشمعه المهتز فلم اتحقق وقتها من صدقه لكنه حين هم بتقبيل يدي احسست بدموعه تبلل كفيي

قبلهم وقام مسرعا ليدخل الي حجره الصغير لينام بحضنه وهممت ان اقوم وراءه كي اهون عليه لكن عندها جاء النور مساحه من الكشف لما بداخل الانسان فتوقفت عن التحرك وراءه

وابتسمت عندما غمرني الضوء وشعرت لحظتها ان خوفي يتبدد وانه يوما سوف تتحقق الاحلام وتتجاوز وجودي

سقط الزمن من عينيه

والتهم المكان ملامحه

وقف امامي وهو يلعق اخر ماتبقي من خرائب روحه وترك احلامه وليمه للرياح

ينعت اللحظات بالاسئله

بلا شكل او لون سلبت حياته

اطفات الشموع واطمانننت انه نام بحضن الصغير فاغلقت عليهم الباب وانا اتساءل من منهما يحمي الاخر ومن منهما يحتمي بالاخر ودخلت لحجرتي واغلقتها لانام في تلك الليله بلا احلام او كوابيس

في اليوم التالي جهزت ابني للذهاب للمدرسه واستعديت لنخرج ولكنني وجدت زوجي وقد ارتدي ملابسه وطلب مني ان اخذ اليوم اجازه وهو سيقوم بتوصيل ابني للمدرسه

سالته :لما الاجازه ؟ قال :احتاج ان اقول مابداخلي كانت الدموع تتجمع بعينيه وخفت ان يراها الصغير فوافقت

عاد زوجي الي البيت بعد ان اوصل ابننا للمدرسه وطلب كوب من الشاي لكنني اعددت له الافطار اولا ثم اعقبه الشاي وفنجان قهوتي الصباحيه وجلسنا ليحكي تجربته المريره داخل السجن طيله ثلاث شهور وعشر ايام

وكيف اكتشـف انه عندما قبض عليه كان بالخيانه من رفاق له وهو وزملائه الاخرين وايضـا اكتشـف انهم لم يوفو بوعدهم من رعايه اسـرته ورعايته ماديا اثناء سـجنه وان جاري وهو المسـئول الحزبي عنه قد تقاضي مبالغ ماليه كبيره ليوصلها لي لكنه اختصها لنفسه

كان هو نفسـه هذا الجار الذي قال لي كيف تاتين الي بيتي انت تضرينني بمجيئك للبيت لعل ورائك احد

وانهي زوجي حواره بانه قرر محاكمتهم حزبيا ثم تقديم اسـتقالته من الحزب وتركه للعمل السياسي برمته

كنت اسـتمع اليه والي الاتهامات بالعماله والخيانه واردد بداخلي العيب ليس بالنظريه ولكن بالتطبيق وايضا بانتهازيه الافراد وفوضويتهم

شـاهدت بعد ذلك محاكمتهم لبعض واتهاماتهم بالسرقه والخيانه التي اوصـلتهم لاتهامهم لبعض بالخيانات الزوجيه وبدء كل كيانهم ينهار وكثير من زيجاتهم تنتهي بفضائح واقسام شرطه ومحاكم

واصـبح صـديق الامس عدو اليوم حتي اخوتي اللذين اهدوني اليه كصـفقه اول ناس كانو يدفعونني للتخلص منه ومن الحياه معه وبعد ان كانت العداوه مستتره اصبحت معلنه وعلي الملا

واصـبح الضـرب في شـرف اي منهم هو الوسـيله الوحيده وتبادلو االاتهامات والاهانات لبعضهم البعض

اما زوجي بعد هذه الواقعه فلقد انزوي وكان يجلس مطولا وحيدا يفكر ودخل في حاله انعزال عن العالم الخارجي لايربطه به الا عمله الذي حاول ان يطور نفســه فيه فعكف علي رســاله الماجســتير والتي انجزها في فتره وجيزه بعدها ترقي في مجال عمله وتحقق فيه

ايضـا حاول اسـتثمار علاقاته التي كانت في السـياسـه بمن يعملون في مجال الفن والصحافه

وبدء يكتب اعمال مسرحيه وادبيه كانت تجد صدي لها في الاواسط الفنيه وانتج له اكثر من عمل في مده زمنيه قصيره فاصبح اسمه يتردد في الاوساط الفنيه والصحفيه

كنت ادعمه وفي نفس الوقت انشـــغلت بعملي وباولادي لان ابنتي جاءت للعيش معي بعد ان دخلت الي المدرســـه وقد اهديتها في اول يوم دراسي الخاتم الذي كان يخصني وانا بمثل عمرها

وبدلا من ان ينتبه ويستفيد من تجربته في السياسـه اصبحت الحياه الجديده هي بديل السياسه

ظهر الوحش الجديد بعد ان داوي جراحه وعاد لينتقم واول انتقاماته كانت لمن وقف بجواره ودعمه حتي بعد خروجه من السجن جريحا لم افكر لحظتها بان اكمل عليه بمطالبته بتنفيذ الاتفاق الذي كان بيننا وهو انهاء علاقتنا بالعكس وضعت فرضيه التغير وقلت لنفسي: ابذلي مجهودا حتي تنجح علاقتك لعل تدخل الاخرين في حياتكما كانت السبب وانت من البدايه اعلنت الكراهيه فلتتسامحي وابداءي من جديد اعط لنفسك معه مساحه من الوقت فقد عاد الي رشده واستنكر افعاله ولعل تجربه السجن كانت كفيله بتغيره وتعديل سلوكه المتعالي معك

كان يتحقق وكنت سعيده بتحققه وبوجوده علي الساحه الفنيه والثقافيه فهو يعمل في المعلن ويجد نفسه علي المستوي الادبي والمادي

لكن وللاسف لم تطل المده حيث تحولت الاجتماعات السياسيه ببيتنا الي اجتماعات فنيه ولم تتبدل الوجوه فكانت نفس الوجوه التي كانت تعمل في السياسه هي نفسها التي تحولت الي الثقافه والفن

وعاد البيت يضج بالبشر هم نفس البشر وبدلا من النقاش في السياسه اصبح النقاش في الفن

حتي نفس الشخص الذي حاكمه زوجي وهو جارنا لم يكن له في الفن لكنه كان دائما متواجد كناقد ومتذوق للفن

وتناســي زوجي موقفه عندما كان بالســجن ولم يعطينا الفلوس التي كان المفروض ان تصرف عليه

وعندما كنت استفسر من زوجي كان يرد : انه يفصل مابين السياسه والعمل العام وبين الشخصي وهذا صديق عمر

اسـتغربت من السـرعه التي يتغير بها البشـر لقد تخلو وبسـرعه عن قناعاتهم واســتبدلوها بقناعات اخري لكن بنفس همجيتهم فلم يغير الفن من طباعهم حتي انها ازدادت شراسه وتواءمت مع انتهازيتهم

انتشـروا بسـرعه في الحياه الثقافيه والفنيه في مصـروبنفس منهجهم في السياسه كان منهجهم في الفن وفي الثقافه

وبداءت افقد خصـوصـيه حياتي ليتحول بيتي لخلايا نحل من البشـر وعلي ان اقوم بمتطلباتهم من مشروبات وماكل واعداد اماكن للنوم

واعود من عملي منهكه ليســتقبلني انهاك جديد ياخذ الباقي من طاقتي للدرجه التي فقدت معها اي وقت لمتابعه ابنائي ودراستهم

وزاد الضـغط النفسـي والعضـلي وزادت فوضـويتهم معي وتحرشـهم ومنهم من كان يقولها صراحه انت كتير عليه انفصلي عنه ونتزوج

فتحت شــباكي ونظرت للســماء ملبده بالغيوم الرماديه تحجب نور الشمس

بدات الثلوج تســـقط كتلا ثقيله علي الناس في الشـــارع فتجمدهم وتحولهم لتماثيل شمعيه من الثلج

اشـتعل بداخلي الخوف والقلق وهرعت اخرج من البيت واهرول علي الدرج الذي امتلا بالبشر التلج

في الطريق كنت اصـطدم بالبشـر الثلج وانا اكاد اموت من الخوف فتذكرت زوجي فجاه

هرولت ثانيه الي البيت وجدت مدخل البيت وقد اصـبح درجه هابطا وقد ملاته القازورات والاتربه

اخـذت في النزول محـاذره وقلبي يخفق وفتحـت البـاب لاجـده مع امراءه اخري ووجهيهما بلا ملامح

التفتا ناحيتي فتحولت الي كره من الثلج تدحرجت خارجا ثم صـــعودا علي السلم بين القاذورات والتراب حتي وصلت الشارع الذي كان ممتلئا بنور الشمس والدفء

فتحولت لماء سري في الارض كماء المطر

كنت المح لزوجي واحاول اســـتدعاء رجولته لكي يحميني لكنه كان لايفكر الافي ذاتـه وملذاتـه متغافلا عن بيتـه ودائمـا مـاكـان يردد انني اكرههم من ايام عملهم بالسـياسـه وانني لااسـتطيع نسـيان مواقفهم ولابد

ان يكون تعاملي معهم بشكل موضوعي فكان لابد من وقفه مع زوجي الذي فاجاني : باننني هنا مجرد مربيه لاولاده وماهي قيمتي حتي اتكلم معه او افتح بابا للنقاش وان كل مهمتي في الحياه بالنسبه له هو خدمته هو واصدقاءه والسهر علي راحتهم وتلبيه طلباتهم فهم يبدعون اما انت فما هي قيمتك

توقفت الحياه معه عند تلك الكلمات فقد مات ماقبلها

وقررت لحظتها ان انهي حياتي معه

وتدخل اصدقائه القدامي بوجههم الجديد القبيح وبلغت الاهانه مداها فقررت العوده لاتفاقنا فبيل دخوله السجن وانه لابد من انفصالنا ضحك ضحكه مدويه وقال "الباب يفوت جمل" فلتذهبي الي الجحيم

واستطرد ان اي واحده تتمني ان يقترن اسمها باسمه وانني اذا غادرت ففي الساعه نفسها سياتي بمن تقبل قدميه

ضحكت في نفسي وقلت: له هاتها اما انا فلن اقبل يديك حتي وتركته وارتديت ملابسي كي اخرج وافر الي اهلي لعلهم يجدون مخرجا وانا اهم بالخروج لمحت نظره التشفي بعيون اصدقاءه وكانهم ينتقمون من مواقف سابقه ايام عملهم في السياسه فاتاني العقل واستدرت ناحيته وقلت له: عفوا لقد نسيت شيئا مهما فبادرني وماهو

قلت : له انت نسيت ان هذه شقتي وعقدها باسمي وان ابي هو من استاجرها لي تحسبا ليوم كهذا

وعليه فلتتفضل انت واصدقاءك خارج البيت

هالتهم المفاجاه التي لم تطرح يوما امامهم فهو شـــان خاص لم نتناوله امام احد لكن اهله كانوا يعلمون به فما كان منه الا ان انهال علي ضربا وبكل وسائل الضرب وانا اتحاشي وقع الضرب عن وجهي ونظري مثبت علي ابنائي والذي لمحت الذعر بعيونهم

اما اصـــدقاءه فلم يحاول اي منهم منعه من التعرض لي الا بعد ان سقطت علي الارض شبه مغمي علي

وعندها دخل فاحضـــر شـــنطه ملابســـه واخذ بعض متعلقاته وغادرومعه اصدقاءه وراءه

لملمت نفســي بعد مغادرته للبيت واســتندت علي ابني وابنتي وقمت لاغتســل واغير ملابســي التي اتســخت واحاول ان اهون علي ابنائي بشاعه المشهد فقد كانوا يبكون من هول عنف ابيهم معي

خفت ان يترك هذا الموقف اثرا في نفســيتهم فقلت لهم: انني بخير وهو لم يتعمد ايذائي لكن هو عنده مشـــاكل في شـــغله وبدل مايفرغ

غضبه في الغرباء قام بتفريغه عندي وانا راضيه بذلك حفاظا عليه لانه ابوهم الذي يحبهم

وفي الصباح اتصلت باهلي ودعوتهم للحضور لانهاء الموقف وجاءو فعلا واستدعوه وبعد شد وجذب رمي يمين الطلاق امام اهله واهلي وبعضا من اصدقاءه اما ورقه الطلاق فقال حين اطمئن علي اولادي سوف اعطيها ورقتها ايضا

والغريب انه فعلا بعد انفصالنا قد تزوج من سيده بسيطه كان يستمتع معها باطاعه اوامره وبالزهو به وباحساسها بانه تفضل عليها بنعمه كبيره وهي زواجه منها

ولااعلم السبب في اختياره سيده اميه وليس لها اي اهتمامات من بعيد او قريب سوي انها تخدم زوجها

ولاحظت ان معظم زملاءه واصدقاءه ايضا بالحزب والحياه العامه ممن انفصلوا عن زوجاتهم قد تزوجوا بنفس الكيفيه من سيدات بسيطات غير متعلمات كل همهن اسعاد الجانب الذكوري في شخصيه ازواجهن

واخذت قراري بالانتقال الي المدينه التي يقطن بها اهلي حتي اكون بجوار امي فتساعدني في رعايه ابنائي لكن وللاسف لم اوفق في الحصول علي شقه هناك

فاستاجرت شقه في مدينه الاسماعيليه وهي الاقرب لهم وانتظرت حتي انقل عملي ومدارس ابنائي وايضا لانني ساترك شقتي هذه فكان لزاما ان اتفق مع اصحاب البيت علي اخذ مبلغ من المال حتي يعينني علي مصاريف انتقال منقولاتي وحياتي الجديده

وبعد ان رتبت كل شئ احضرت العربه التي ستقل منقولاتي وايضا استدعيت ابو اولادي حتي ياخذ مايريد من متعلقات كان متاثرا مما حدث منه وحاول ان يبرر انه كان خارج عن ارادته ووعيه وانه نادم علي فعلته معي ولايريد اي شئ سوي التسامح

ابتسمت له وقلت : ومايجدي الان المسامحه من عدمها فلقد انتهي مابيننا ومايربط بيني وبينك الان اولادنا فمصالحهم ونفسيتهم الاهم

طلبت منه الا يقطع بينه وبين اولاده الطريق وانه لابد وان يتواصل معهم حتي ولو مره واحده في الشهر حتي تظل صوره الاب امامهم رحب بذلك وتركته وغادرت

خرجت من الشارع الذي قضيت به سنين وتركت فيه اثرا طيبا في نفوس الجيران الذين ودعوني بدموعهم الحاره لكنهم كانوا يعلمون ما انا

فيه وتجربتي القاســـيه والتي دخلتها باراده غيري وخرجت منها بارادتي الكامله

ركبت العربه بجوار الســـائق الذي انطلق باتجاه الطريق بســـرعه احسست معها انه كان يريد ان ينتزعني من مستنقع كدت اغرق فيه

ســـلمت عيوني للطريق الذي تقطعه العربه انظر للاشـــئ كانت المدينه التي عشت فيها دراستي وشبابي وذكرياتي القاسيه تبعد وتبعد وتتلاشي ويتلاشي معها سيل الاحزان لتدخل ذكريات الطفوله والاحلام تتسرب الي الروح الخاويه لتملاءها بالامل في الغد

شط البحر ...

ايقظت من بين ذكرياتي دفتري الصـغير والذي يحوي حكايا الطفوله والاحلام تصفحتها

لقد سلمت سفينتي للامواج

وسلمت نفسي للاقدار

وقدري ان الاقي الشر

لكنني افيق علي روحي الحزينه

وخذلان الصمت

تذكرت البحر وكم عشـــقي له وكم احبه واخشـــاه واخافه واخاف المجهول بداخله والذي يداعب المجهول بداخلي واتذكر خطواتي الاولي علي رمال شـــاطئه والتي كانت تحمل بالفرحه والبهجه وانا اجري وراء طائري الاثير النورس في محاوله بائســـه للامســـاك به ومحاولاته هو الامساك بالاسماك من فوق سطح الماء

تلك ذكرياتي الجميله خاصـــه ذكريات الطفوله التي احبها واتذكر كيف كانت تلهو الطفله ذات الخمس سنوات مرتديه لباس البحر وتحمل الجردل والجاروف لتبني بيتا علي الرمال باناملها الصـغيره وكيف كانت تحمل علي عاتقها بناء بيتا تحميه بسـورعال وتتطعمه باصـداف البحر وتتامله

كان من امنياتي في عالمي الصـغير ان يكون لي بيتا اصـنعه انا وازينه بالاصـــداف البحريه واحافظ عليه بســـور يحميه من اقدام الماره علي شاطئ البحر حتي لايهدموا بيتي

اتذكر انني يوما بنيت بيتي وتركته في حمايه اشـقائي وجلسـت علي شـاطئ البحر ممده قدمي في ماء البحر واعطيت ظهري للشـاطئ فاذا بموجه قويه تدفعني ثم تاخذني معها فاكاد ان اغرق وعندما كانت راسي في مياه البحر كانت هي تمســـك بيدي وتســـحبني الي الاعماق كانت مبتسـمه وقد وضـعت بيدي سـلسـله كانت ترتديها وانا امسـك جيدا بهذه السـلسـله كانوا علي الشـاطئ يحاولون انقاذي واخراج مافي معدتي من

ماء البحر فتحت عيني لانظر تجاه البحر واجدها تلوح لي مبتسمه وتختفي عن الانظار الي الاعمق

حملوني الي البيت وهم يلفونني بملاءه حتي اتدفئ وضعوني في سريري واتت امي بمشروب لكي اشربه فتحت يدي كي امسك منها الكوب فظهرت السلسه الذهبيه التي رائتها امي وامسكتها وتعجبت وبرر الحاضرون انني كطفله رايت السلسله في البحر فحاولت ان اخذها والموج سحبني

قلت: لم اجدها بل من اعطتني اياها عروس البحرالتي كانت تشدني لاذهب معها لكنكم اخدتوني منها وهي تركت لي سلسلتها التي خلعتها من رقبتها

ضحك الجميع وقالوا: انها تهذي من الخوف

لم اكن اهذي كانت السلسله في يدهم تتدلي منها عروس البحروضعت امي السلسله برقبتي فامسكت بعروس البحر في السلسله ونمت مبتسمه مرت علي تلك الواقعه ايام كثيره حتي استعادت اسرتي حياتها الطبيعيه وتناسوا حادث الغرق ولم يعد احد يذكر هذه الواقعه امامي او امام انفسهم ولم يذهبوا في هذا العام مره اخري الي البحر لكنني كلما اتاني النوم كنت امسك بعروس البحر في يدي فكانت تبتسم

لي فاغمض عيني علي ابتسامتها التي اصبحت سري الصغيركانت السلسله رفيق عمري وسري الذي لا افضي به لاحد

كان يوم انفصـــالي وتركي للمدينه التي تزوجت بها ورحيلي حيث سكني الجديد وبلده جديده ابني فيها بيتا لي انا وابنائي واتنفس فيه هواء جديد

كانت العربه المحمله بمنقولاتي تقلني الي حيث اخترت الحياه تقطع الطرق في رتابه كنت اجلس بجوار السائق وانظر الي الطريق الزراعي الذي بدات الظلمه تزحف عليه وعلي روحي وشـــريط الذكريات يتداعي امامي كشريط سينما لفيلم قديم باهت فحاولت الهروب منه بان سالت الســـائق هل خرجنا من حدود المحافظه التي غادرناها نظر الي وقال غادرناهاوباقي امامنا حوالي ساعه ونصل الي الاسماعيليه ياستاذه

ادركت لهجته فهو لم يسترح ليشرب شاي اوياكل فااشرت عليه ان يركن امام كافيتيريا حتي ناكل ونشرب اي مشروب ونرتاح بعض الوقت

وتذكرت انني لم اتناول قهوتي منذ الصباح وقد كنت اعاني صداعا اكتشفت انه بسبب نسياني قهوتي

انتحي الســـائق بعربته جانبا امام احدي الكافتيريات فنزل ليؤمن لي مكانا اجلس فيه ونادي علي التباع الذي كان مســـتغرقا في النوم فانتبه ونزل عن العربه ودخل الي الكافيتريا كي يغتســـل ويفيق تناولنا طعامنا

الذي تذكرت انه اول طعام اتناوله في اليوم وشـربت قهوتي وعندما فرغ السـائق وتابعه من تناولهم لطعامهم وشربوا الشـاي قاما ليستقل السـائق العربه نهضت لدفع الحساب واستقليت العربه مره اخري في طريقي الي حيث حياه جديده

شط الفجر ...

تعظم احلامي وتتجاوز وجودي ويغمرني الفجر بضـوءه فاسـتشـعر الخوف يتبدد ويغادرني فابتسـم ابتسـامه تحدي للاتي واشـعر بالدهشـه تغمرني تعظم احلامي وتتجاوز حدودي وتنســـحب احزاني مع الظلمه وتمتد اشـــرعتي بعيدا بعيدا لتجاوز الســـماء وانا احمل بكفي الشـــمس فابتسم ابتسامه خاليه من المراره والتمرد والعقاب والعتاب

دخلت المدينه مع اذان الفجر وانتهينا من طلوع المنقولات الي الشـقه وحاسبت السائق وابتديت افكر هل انام الليله بالبيت وفي الصباح اذهب الي امي لاحضـــارابني وبنتي لكنني صـــممت علي احضـــارهم ليفرحوا ببيتهم الجديد وخاصه ان الشروق اصبح وشيك

سافرت الي بلدي وذهبت الي بيت امي وطلبت منها ان توقظ ابنائي حتي نعود للبيت كانت امي مشـــفقه علي من عدم الراحه وايضـــا علي اولادي لكن مع تصميمي استجابت

في لحظه توديعي علي باب البيت كانت امي تبتسم لي انني صممت ان ابني بيتا وها قد اتخذت خطوات الي ذلك

وفجاه بادرتني امي بسؤال: اين السلسله الذهبيه التي كانت بصدرك؟

تحسست صدري ولم اجدها قلت لام: لااعلم هل سقطت من صدري ام انني وضعتها في مكان ما

ابتسمت امي وقالت: لاتحزني فلقد بيعت بنفس ثمنها

لم ادرك معني كلمتها في اللحظه كان كل مايشغل بالي بيتي الجديد وكنت مطمئنه الي انني ساجدها في البيت اكيد وقعت مني هناك

دخلت انا وابنائي الي البيت وانا اغلق الباب مع صباح اليوم المشرق تذكرت ان هذا اليوم هو عيد ميلادي فابتسمت وتفاءلت واستندت علي حائط شقتي بيدي وانا اتمتم اخيرا اصبح لكي بيتا انه ميلادي الجديد دخلت الشقه وشاهدت الفرح بعيون ابنائي الصغار وبداءنا في ترتيبها واختيار حجرتهم وتنسيقها اولا ثم تلاها ترتيب حجرتي واعدادها لتكون صالحه للنوم

لاول مره من سنوات طويله اضع جسدي علي السرير فااستغرق في النوم كان نوما بلا كوابيس

فتحت عيني من النوم وصـوت يتسـرب الي مسـامعي لاغنيه احبها ولها معي ذكريات كانت تقول" ابتديت دلوقت بس احب عمري ابتديت دلوقت اخاف للعمر يجري"

رددت في سري : انت عمري انها انت عمري

سـقطت دمعتان للفرح من عيني وانا اقوم من السـرير لافتح شـباكي واطل للسـماء مبتسـمه وهناك علي مرمي البصـر كانت سـفينه للركاب تعبر قناه السويس فرددت داخلي :انه الازرق

السـماء والقناه وام كلثوم وانت عمري مااحلي اليوم ومااحلي الحياه عندها دخل ابني يحمل لي فنجان قهوتي الصـباحيه فوقفت اشـربه وانا انظر للسماء واحتسي طعم الحريه

مر يومان علي وجودي في الشـقه الجديده اكتمل معها تنظيم الشـقه وفرشها كنت سعيده وكان ابنائي ايضا سعداء

اخيرا اصـبح لنا حياه مسـتقله بعيدا عن زوار ابيهم في شـقه الزوجيه التي كانوا يشـاركوننا فيها حتي النفس وايضـا بعيدا عن بيت اهلي الذي كنا فيه ضيوف لاشـهر حتي اتمكن من استعاده نفسي وسط ضوضاء اخوتي وزوجاتهم وابنائهم

اخيرا اصبح لنا مكان لنا وحدنا هذا هو قلعتنا الصغيره التي نحتمي فيها من البشرومن الشر

في تلك الليله زارتني عروس البحر بجمالها الاخاذ كانت مبتسمه وهي تربت علي كتفي وتشد من اذري لمحت بيدها السلسله تتدلي وهي تذهب بعيدا وهي تعيد وضعها في صدرها مره اخري حيث توارت في الاعماق ولم تعد

مرت الايام ثقيله ورتيبه بعد ان زالت بهجتها الاولي واعتدت عليها ولم تك تخلو من بعض المنغصات لكنني كنت سرعان ماتغلب عليها انا اولادي

واستقرت الحياه وبدات افكر في ذاتي بعد ان استقرت حياه ابنائي وتعودو العيش في حياتهم الجديده وتاقلموا عليها وكونو صداقتهم الصغيره وبدات ابحث عني كان التحدي صعبا للغايه لانه كان يتمثل في اعاده تاهيل نفسي ثقافيا ونفسيا ووظيفيا واسريا في محاوله لاعاده ترتيب حياتي بعد استقلالي بها وباولادي ونجحت في تحقيق هذه الذات بعد عام من المعاناه والقراءه المكثفه والتعلم وحين احسست انني قادره علي مواجهه الحياه بعد ان امتلكت ادواتي المعرفيه والثقافيه والفنيه

وقتها حدث الزلزال المدمر في مصر ظاهره جديده لم نعتدها معه اكتشفنا جميعا ان نفوسنا هشه وضعيفه واننا لسنا بمناءه عن

الخطرالذي يهاجمنا بدون انذار مسبق فهو عدو لكنك لاتملك امامه الا التسليم له وكيف لك بمواجهته

فوضعني في مواجهه جديده هي مسؤليتي في حمايه ابنائي وايضا حمايه ابناء جيراني ومواجهه نواتجه وتوابعه علي المستوي النفسي والمادي

جاء الزلزال ليفجر بداخلي شرايين الخوف من جديد الخوف من المجهول الذي يتربص بنا وخاصه ابنائي

رايت الناس تجري في الشوارع بملابسها الداخليه تعروا وتعرت نفوسهم

كنت اقطن بشقه بالدور السابع وكنت ارقب الشقوق التي خلفها الزلزال في شقتي وكانها شقت نفسي لتعلني بانني غير قادره علي تحمل مسئوليه ابنائي ومن اين لي حمايتهم والخطر الذي يتهددهم تلك المره خطر قدري ارسلته الطبيعه ليضعني امام نفسي ويلح السؤال علي راسي اين لي بلحظات الامان التي تتطاير امام معطيات الواقع

ظلت الشقوق تتزايد وتتزايد داخل نفسي ويعشش الخوف بصدري فقد كان الخطر القادم يتزايد داخل نفسي مع تزايد توابع الزلزال

ومع كل اهتزازه كانت تتارجح احلامي وتتارجح معها لحظات الامان القليله التي عشـتها ببيتي الجديد والذي اصـبح لزاما علي ترميمه وترميم نفسي معه

بدات اتغلب ظاهريا علي خوفي خوفا علي اولادي وبدات اضـــع بدائل محتمله لاي خطر قادم

كنت اســـهر طيلـه الليل حتي يتمكن اولادي من النوم بـامـان وانـا احرســـهم علي الاقل كي لايفاجئني اهتزاز البنايه وانا نائمه فاتعري وانا اجري الي الشارع في محاوله انقاذ ابنائي وابناء جيراني

كنت اقضـي ليلي في القراءه والاستماع للموسيقي ممازاد رغبتي في ان اسجل تلك الذكري الاليمه

وتولدت لـدي الرغبـه ان اكتـب لاعبر عن الوجع الـذي اصـــابني خاصـه بعد ماتعرضت بعض المدارس للانهيار وموت واصابه الاطفال فكتبت دراما مزجت فيها بين موت اطفال مدرســـه بحر البقر نتيجه العدوان عليها من طائرات العدو الاسـرائيلي وموت اطفال مصـر نتيجه عدوان الطبيعه عليهم وتواصـلت مع جهات ثقافيه لانتاجه وبالفعل بدات ادخل عالم جديد يضيف لخبراتي وايضا لدخلي

وانفتحت الحياه امامي فقد كـان عملي الجديد اضـــافه لي علي مسـتويات كثيره واهمها المسـتوي النفســي وهل اكون اقل اراده من ذاك

الشاب الذي استمر يقاوم الموت تحت انقاض عماره مصر الجديده الي ان انقذوه بعد اســـبوع من انهيارها وفقدوا اي امل بوجود احياء تحت الانقاض

كـان لزامـا علي في تلـك الفتره ان اخرج من تحـت انقـاض حيـاتي السابقه لابدء من جديد متحديه اراده الموت باراده الحياه

كان ابو اولادي في تلك الاثناء ياتينا بميعاد مسـبق لرؤيه ابنائه كما اتفقنا ويحاول ان يزيل اثار ماحدث منه لي امامهم بان يمدحني معهم ويذكر مميزاتي وانه كان يتمني ان تكون امه مثل امهم

كنت ابتســـم داخلي فقد حفظ دوره جيدا كممثل يتقن اداء الادوار ثم يبـداء في الحكي مع الاولاد ويـاخـذهم ليخرج معهم بعض الوقـت في مدينتنا الجديده ثم يعود بهم مودعا لي ويغادر الي مدينته مره اخري

في احد الايام وجدت الباب يطرق فذهبت لاري من بالخارج ووقفت غير مصـــدقه انه هو ووســـط اندهاشـــي فوجئت به يخبرني انه اتي بعنواني من ابو اولادي فتوقعت المهمه التي اتي من اجلها فتحفزت للرد بعد ان دعوته للدخول للجلوس في مدخل الشـــقه وتركت باب شـــقتي مفتوحا علي غير عادتي مع ان اولادي كانو بالبيت

وبعد ان قدمت لـه واجب الضـــيافه كنت اراه مبتســـما متتبعا لي بنظراته فجلست حتي يقول ما اتي بسببه

وكانت المفاجاه ان جاء ليعبر لي عن مشـاعره التي لم يصـرح بها ابدا لحسـاسـيه الموقف بينه وبين ابو اولادي وخاصـه انه كان المسؤل الحزبي عنه وايضا هو صديق عمره وانه يكن لي مشاعر من اول مره تقابلنا فيها وانه كان يعاملني باســـتفزاز لانه لم يتوقع ان يطالني في حياته فكانت تلك ردود افعاله

وانه مســـتعد ان ياتيني بورقه طلاقي اذا انا وافقته علي مشـــاعره تجاهي وبادلته تلك المشـاعر وانه سـوف يتزوجني فور حصـولي علي حريتي

ابتسمت له وكنت ابتسم داخلي وانا استمع فلم يكن عنصر المفاجاه موجود لدي انا كنت اسـتشـعره هو وغيره وكنت اعلم انه سـتكون هناك محاولات من اشـخاص قريبه من ابو اولادي الا هذا الشـخص وخاصـه انه قال انه اخذ العنوان من ابو اولادي وتعجبت مازالت الخيانه تلعب دورها

رددت عليه ردا جعله يقوم منتفضـا ويتجه ناحيه باب الشـقه ليخرج الي غير رجعه

قلت لـه انـا لاريد الحصـــول علي ورقتي من ابو ابنـائي وانني اذا حصـلت عليها يوما وفكرت في الزواج فهو اخر انسـان ممكن افكر في الارتباط بـه لانني اكره الخيانه وهو تجســـيد حي لها كان هو الجار

الذي كان مســـؤلا عن زوجي حزبيا واخذ الدعم المادي الخاص بزوجي وهو في السجن

تمتمت داخلي انتم تستحقون بعضا وانا استحق رجلا هو ليس منكم

وصـــممت الا اخبر ابو اولادي بهذه الزياره واتركه يعيش صـــداقته المزيفه والتي يستحقها وهو الذي لم يعطي عقله مره الفرصــه ليفكر في انتهازيه هذا الصديق

لم تكن خياناتهم مفاجاه لكنها تري داخل عظامهم تاريخا وجبينهم ينضح بعرقها

كان علي ان اتحمل الحياه التي اخترتها بكل قســـوتها وان اودع رغباتي كاانثي وامراءه وان احيا حياه خشنه بارده يغلفها الجليد وان تمر ايامي متشابهه وكانها تسليم وتسلم

حياه رتيبه مملـه انجز فيها مهامي ولااتحقق كاامراءه فراشـــها من شوك اتقلب عليه ليلا ليجرح جسدي وروحي

كثيرا مااشتقت ان يشاركني فراشي حبيب يدفئ روحي التواقه للحظه عشق ابديه تحترق معها وبها اشواقي المهدره

لكنه الليل الســـجن الابدي الذي كتب علي ان اســـجن به رغباتي واحتياجاتي لحبيب يشـــاركني محبتي للحياه ويكون شـــريك دروبي بلا جدوي

لكن الضوء

ينحسر وتبدو السماء موحشه وليلي بدون قمر ترتعد اطرافي واحبس انفاسي

انـه الخوف يعـاودني وتلـك الجـدران الاربعـه وبـابي المغلق زنزانـه جديده يفرضـها الليل والناس

السـكون رهيب فتتكاثر الاتربه والاوهام لتنسـج خيوطها القويه داخل الراس المجهد

جو مريب وصوت يتسرب لداخلي يملاني في الليل ويخرس الكلمات علي الشفاه التي تعجز عن النطق

تتواتر اللحظات وتتداخل في بعضـــها البعض افقد الجاذبيه وافقد معها تاريخي وهويتي

يمر الزمن بطئ وثقيلا ويتلون الصـوت بالخوف وتتشـتت الابتسـامه وتتوزع بالفراغ

فاجلس بزاويه الحجره منزويه داخل ذاتي واثبت عيني في اللاشئ

اختنق من الظلام وارقب السماء الموحشه باانتظار الصباح واتسائل هل سااراه مجددا

فاسقط في دائره الارهاق سجن جديد يحتويني فانا في سجن الليل سجينه الكوابيس تعشش بداخلي وانجذب اليها كما تنجذب الفراشات للنور

شعله احاسيس متوهجه علي صفحات كتاب الحياه اجوب خلالها ابحث عن شئ ما تخفيه في صدرها وتناي به عن كل البشر فمازالت لاتري من يليق بهذا الشئ سواي

كنت اتحرق شوقا لحب يحتويني للحظات سعاده اتحقق فيها كاامراءه وتمر الايام متشابهه ورتيبه لاياتي معهاالحبيب او رفيق الرحله لكن مایاتي معها هو الخوف من الليل وتلك الساعات الطويله وانا اتحرق شوقا للاكتمال والوحده ووحشه السكون وياتي النهار انهض من فراشي تعبه والروح مجهده لادخل في دوامه الحياه والتي تاخذ من طاقتي اكثر مما تعطيها يقطعها احيانا عمل انهمك فيه او زياره لصديقه مقربه لي تاتيني لزيارتي من المدينه التي عاشت فيها وتركتها انا فتقضي معي بضع ايام تشيع فيها البهجه والمرح داخل الروح لكنها لم تستمر كثيرا ففي

تلك المره جائتني ولم تك كعادتها كنت المح الدموع تتحجر بعينيها ولم اجرؤ علي سؤالها الا عندما تاخذ راحتها وتصبح قادره علي البوح

شط الاغتصاب ....

ينحسر الضوء وتخرس الكلمات ويتردد صدي الصوت بداخلي استعيني بالذكريات استجمعيها احيي بها فيستبد القلق واصرخ ملعونه الاه وملعونه اللاء ويختلط الوهم بالواقع وتتواتر اللحظات فاهرب من جذور الواقع الي جذورالوهم ويبقي حلمي يتراقص علي امواج البحر المتلالا وتعود الروح لانكسارها علي ارض الواقع

كانت صديقتي البهجه والالق معا متوهجه دائما وتشع بهجتها بالحياه لم تك يوما كئيبه برغم مامرت به من تجربتها في العمل السياسي وزواجها من زميلها في الحزب وزميل زوجي

كانت متفهمه لموقفي من رفضي العمل السياسي معهم لم تضغط يوما ولم تتخلي عن علاقتها الانسانيه معي

كنا نقضي اوقات كثيره معا نتحدث فيها في امور شتي سواء في الثقافه او الفن او الامور الحياتيه العاديه لكنها لم تتطرق يوما الي الحديث في السياسه معي

كانت تعلم موقفي تماما وتحترمه

وكثيرا ماكنت ادعوها هي وابنائها لتقضـــيه اجازه معي في بلدتي علي شـــاطئ البحر وكانت دائما تنبهر بحكاياياً عن البحر وطفولتي وتجربه الهجره ونحن اطفال في فتره حرب الاستنزاف

كانت تكره مثلي المدينه الجديده المنفتحه علي كل مالفظه العالم من قاذروات وتفضل تمضيه اغلب الوقت معي علي شاطئ البحر نتجاذب اطراف الحديث ونضـــحك علي احلامنا الصـــغيره والتي انهارت مثل انهيار بيوت الرمال التي كان ابنائنا يصـــنعوها علي الشـــاطئ فتاتي الموجه او اقدام العابرين لتهدمها

وكثيرا ماذكرت ان هذه البيوت اشبه ببيوتنا وتقصد بيتي وبيتها كان احساسها صادق فمع اول ازمه انهار اساس هذه البيوت الرمليه مخلفه الوجع بنفوسنا

كانت حوارتنا تتطرق احيان كثيره للماضـي ولتجربتها التي خاضـتها وهي تنتمي لحزب سري كانت تنتقد سلوكهم وازدواجيتهم

تكلمت كثيرا عن الســـلوكيات المعلنه والغير معلنه تحدثت عن خياناتهم وانتهازيتهم

كانت حواراتها تتســـم بالمراره في احيان كثيره واحيان اخري كانت الدهشه هي ماتغلف تلك الحوارات للدرجه التي جعلتها مره تطرح سؤال كان يشغل جزء من تفكيري

لقد ســالت مســتغربه لماذا تحول معظم كوادرهم الحزبيه الكبيره الي التدين الشديد وتلك الافكار المنغلقه

بعد هذا التحرر الفكري لماذا يتراجع الانســـان وينغلق علي ذاتـه ويعيد انتاج افكار العصور الوسطي

دللت علي كلامها بنماذج واسماء تغيرت اشكالهم وتصرفاتهم وحتي شكل ملابسهم وهيئتهم

فلقد اطلقوا اللحي وبدات تظهر علامـات الصـــلاه علي جبهـاتهم وارتدت نسائهم ازياء المناطق والبلدان الصحراويه

وســـافر اغلبهم للعمـل بمنطقـه الخليج وعـادوابثرواتهـا وافكـارهـا ليحاصرون المجتمع باشكال غريبه شاذه في البدايه

كانت اسـئله صـديقتي تفتح امامي ابواب للاجابات وتذكرت حواري معهم عندما واجهتهم انهم لن يصلوا للناس

الان هم الان يستطيعوا الوصول للناس البسطا لمجرد العزف علي نغمه التدين

كانت صـديقتي قد مرت بتجربه زواج ايضـا من احد اصـدقاء زوجي ورفيقـه بـالحزب وبعـد ان ترك الجميع الحزب وبـدات تنتـابهم الهواجس والشـــكوك ببعض بعد واقعه اعتقالهم وبدايه رمي التهم علي بعضـــهم

البعض دبت الخلافات بين صديقتي وزوجها ووصلت للطلاق بعد رحله داخل المحاكم واقسام الشرطه وحصلت هي علي طلاقها واعطاها ابنائها يعيشوا معها فقد تزوج من صديقتها الوحيده ورفيقه حزبها ونضالها وهي التي كانت تتدخل دائما في حل منازعاتها مع زوجها ولم لاتفعل وهي كانت ايضا زوجه لرفيقهم بالنضال لكنهم انفصلوا بالطلاق بعد انهيار حزبهم وسافر الي روسيا ليحصل علي الدكتوراه والتي كانت تاتيهم منح توزع لمن يرضي عنه من الحزب واتذكر انهم عرضوها كنوع من الرشوه علي اكثر من مره ورفضت

وكنت اتعجب من كم الناس الذين كانو يسافرون الي روسيا ويعودو محملين بالدكتوراه في الفن والطب وهم هنا في مصر لم يكن لهم اي تميز علمي او فني

المهم ان صديقه صديقتي هي من دفعها للطلاق وشجعتها عليه وهي التي كانت تشجعها علي الطلاق وانتقلت صديقتي لتاخذ سكنا مستقلا بمدينه القاهره وتبدا حياتها من جديد كان معها ولداها الصغيران وهما بعمر ابنائي فطلبت منهم ان يذهبوا للعب مع اولادي في حجرتهم حتي اتفرغ انا لصديقتي فااعرف مايكدرها

وكانت صديقتي موهوبه في مجالات عده ومنها التمثيل نقلت مقر عملها لاحدي الادارات بوزاره الثقافه وهناك التحقت بالعمل كممثله

بفرقه من فرق وزاره الثقافه وبدات تخطو اولي خطواتها نحو حياه عامه معلنه بعيدا عن عملها بالسياسه

كنت سعيده بخطواتها البطيئه الناجحه وكنت اثق في موهبتها

هداءت صـــديقتي وطلبت الانفراد بي كي تحكي معي اوجاعها ومخاوفها اعددت لها كوبا من عصير الليمون لتشربه وتهداء تناولته من يدي وارتشـفت منه قليلا ثم طلبت مني ان اغلق باب الحجره لانها تريد ان تسر لي بسرها اغلقت الباب وعدت لاجلس قبالتها وبدات في الحكي وهي شبه مغيبه والدموع تتحجر في مقلتيها قالت

اتذكر ذلك اليوم جيدا حاولت القيام من فراشي لم استطع كنت تعبه فقررت ان ابقي بالفراش حتي اســتعيد بعض من طاقتي ناديت علي ابنائي الذين كانو يستعدون للذهاب لمدارسهم اطمئنيت علي ارتدائهم ملابسهم وافطارهم وان كل شئ بالنسبه لهم مكتمل اخذوا مصروفهم وودعوني بقبله علي خدي وسمعت باب الشقه وهو يغلق علي وحدي بالبيت الان انفرد بسريري كي انام واعوض سهر الليل بعد انتهائي من العرض المسرحي الذي كنت اعمل به كنت احتاج للنوم

لاادري كم مر من الوقت علي وانا نائمه حتي اتاني صـــوت جرس الباب يرن بالحلامي ومع تتابع الصـــوت انتبهت معقول انام كل هذا الوقت وابنائي بالخارج

نهضت متثاقله ولم انظر للساعه ذهبت مباشره للباب وفتحته وجدته امامي فتحت عيني جيدا حتي اتاكد ابتسم وقال ايوه انا مررت في رحله عمـل بـالقرب منكم ففكرت ان امر للاطمئنـان عليكي وعلي اولادي اشرت له بيدي ليدخل وجلست علي اول كرسي قابلني استطرد

مررت علي عملك للسـؤال اخبروني انك بالبيت لم تحضـري للعمل اليوم وعلي الفور اتيت لاطمئن عليك

قلت له انا بخير فقط كنت احتاج للنوم بعد انتهاء العرض المسرحي وسالته هل تريد شرب اي شئ

قال فلتجلســـي بســـريرك يبدو عليك الاجهاد وانا هاعمل قهوتك الصـباحيه وشـاي لي مع محاوله اعتراضـي اصـر وشـددني من يدي ادخلي الي سريرك انا ساانتظر الولاد حتي يعودوا من المدرسه

في طريقي لحجرتي نظرت للســـاعه باقي اكثر من ســـاعتان علي عوده الولاد دخلت الحجره وفتشت علي سيجاره اشعلتها وقد كان احضر القهوه التي شكرته عليها وذهب ليشرب شايه بالخارج

كان الخوف داخلي هو المسـيطر وانا اتناول اخر رشـفه من القهوه وجدته امامي يمد يده بسـيجاره تناولتها منه وهم بااشـــعالها ثم اشـــعل سـيجاره لنفسـه ووقف مسـتندا علي باب الغرفه وهو يسـال عن الاخبار الخاصه بي وبالاولاد كنت اجيب اجابات مقتضبه ثم طلبت منه الخروج

وانتظاري بالخارج حتي ابدل ثيابي واتي لاجلس معه بالخارج بكل الذوق سحب الباب ليغلقه اطفات السيجاره وقمت ابدل ملابسي في تلك اللحظه والتي انا فيها شبه عاريه كان الوحش امامي جذبني من ذراعي ورماني علي السرير وانا اقاوم وفي لحظات كان جسده فوقي يشل حركتي ويد ه تخلع ملابسه والاخري علي فمي يكتم بها صراخي قاومت بقدمي

فتح رجليه بين رجليه ليمنع حركه قدمي وفي لحظات كان قد تمكن مني وانا اصرخ صرخات مكتومه ومع صعوده وهبوطه كان الوحش يكشر عن انيابه ياكل لحمي ويترك اثاره علي جسدي ومع رعشه جسده الاخيره رفع يده عن فمي لم تخرج الصرخه كان الوجع والاجهاد قد تمكن مني قام عني وهو ينظر لي نظره الوحش للفريسه كان يرتدي بنطاله ويحكم اغلاق حزامه حينما تحركت قدمي لاركله

بقدمي بين قدميه ليصرخ ويتلوي من الالم ثم سريعا يخلع حزامه عن بنطاله ويهوي به علي الجسد الواهن دون ان اصرخ كنت اتالم وكان الالم من الروح

بعد ان انتهي ارتدي باقي ملابسه ونظر الي وانا في كامل اعيائي وبصق علي وجهي ثم غادر

تاكدت من ذلك مع سماعي لصوت الباب وهو يغلق قمت متثاقله استند علي الحائط واسير كالعاجز حتي وصلت للحمام فتحت الماء حتي يمتلي البانيو ودخلت المطبخ اخرجت وعاء ووضعت فيه الاكل علي النار حتي اعد طعام لاولادي حتي افرغ من الحمام

دخلت الي الحمام ورميت بنفسي الذليله الي الماء لعله يطهرني وابكي تحت الماء الذي ينهمر بشده علي راسى لعله يبرد من غليانه

كانت دموعي تسابق انهمار الماء كنت احس انها تغسل قاذورات علقت بالروح التي اصبحت ذليله

خرجت من تحت الماء واخذت خطواتي طريقها الي حجرتي كان الماء ينهمر من علي جسدي وشعري علي ارضيه الشقه وكانه دمي المهدر دخلت حجرتي التي عدت اكرهها واكره لحظات اغتيالي واغتيال روحي بها

ارتديت ملابسي واكملت طهو الطعام لابنائي الذين اتوا في موعدهم جهزت لهم الطعام واعددت طبقا من السلطه قطعته بكل حرفيه وانا اتخيل انني اقطع الوحش الذي اتي وجهه في كل ثمره من الطماطم والخيار

طلبت من ابنائي ان يتناولو طعامهم ويلزموا الهدو كي اتمكن من النوم سالوني الن تاكلي معنا اخبرتهم انني اكلت اثناء تحضير طعامهم

دخلت الي سـريري جثه لاتشـعر ولاتحس وقعت في بئر عميق لم ادري امر يوم ام ايام ام دهر كامل لااستيقظ علي يد اصغر ابنائي وهو يربت علي كتفي فتحت عيني لاجد الصغير امامي يطمئن علي

ابتسمت له واخذته بحضني ودموعي تقهر ابتسامتي وطلبت منه ان يصـنع لي فنجان من القهوه وانا اندم علي اخر رشـفه تناولتها من قهوه الصـباح كانت تحكي ودموعها تنسـاب كشـلال يخترق وجهها وتشـعل السـيجاره من السـيجاره وتنفسـها ويديها ترتعش من الخوف حاولت ان اخذها بحضني لعلها تهدئ لكنها بعدت متعلله بالسيجاره

كنت اسـتمع لها جيدا وقلبي يدمي معها بادرتها انت لم تخطئي هو تصرف معكي بهمجيه هوني عن نفسك

استطردت مرت علي هذه الواقعه قرابه الثلاث شهور وانا الان احمل داخلي ابنه واخاف ان اصـارحه ينكر وانت تعرفينه جيدا هويريد ان ينتقم مني واستطاع قهري علي المستوي النفسي والجسدي

دارت بي الدنيا ماذا هي فاعله بما تحمله داخلها وماذا اسـتطيع انا فعله لها

اسـتشـعرت هي مابداخلي من تسـاؤلات وبادرتني لقد حاولت ان اتخلص منه بالوقت المناسـب لم يكن معي اي مال يعينني علي ذلك

فاستخدمت طرقا شعبيه ووصفات واستخدمت الحفن لكنها بدلا من ان تجهضه ثبتته

وايضا خفت ان اترك ابنائي بدون معين لقد لجات لك وانت المقربه حتي تكوني بجانبي

طمانتها انني مستعده لاي شئ وانني لن اخذلها وسنتغلب علي الازمه

ردت مسرعه ماتخافيش انا انتظرت حتي تم الانتهاء من عمل كشوفات مكافات العرض المسرحي ولما قبضتها اصبح معي الان تكاليف العمليه كل ماطلبه منك ان يبقي ابنائي عندك حتي اخرج لهم وايضا ان تكوني بجانبي وانا اخضع للعمليه

بادرتها انني ساخذ اجازه من عملي وساكون معك حتي تنتهي ازمتك وسنذهب معا للدكتور ومعا بالمشفي حتي تخرجي بسلام الله لاولادك اما انا فقد رتبت حياه ابنائي وابنائهاوحمدت الله ان ابنائي كانو بالاجازه الدراسيه فااتصلت بصديقه لي وزميلتي ايضا بالعمل وهي غير متزوجه واخبرتها انني لابد من السفر مع صديقتي لانها مريضه وتحتاج اجراء عمليه وانني احتاجها ان تجالس ابنائي وابناء صديقتي وان تبيت معهم فتره غيابي وانني قد رتبت لهم الحياه لكنني اخشي عبث الاطفال رحبت زميلتي جداوقالت لي انها ستحضر شقيقتها طالبه

الجامعه لتستذكر دروسها استعدادا لامتحانتها وهي تساعدها رحبت بذلك وكنت اعلم مدي حبها هي وشقيقتها لبنتي وابني وانهما سيرعونهم كما لوكنت موجوده وايضا سيرعون ابناء صديقتي وستكون تلك التجربه بالنسبه للاطفال مجرد مغامره جديده عليهم

استعدينا للسفر حيث تقطن وذهبت معها لعياده الدكتور الذي طلب موافقه زوجها علي اجراء العمليه تلعثمت هي اما انا فبادرته انني شقيقه زوجها وزوجها خارج البلاد من شهران وعلم بحملها مما سبب لها مشكله معه فهو لايريد اطفالا جدد

اقتنع الطبيب مع جديتي ولمحت نظره عيناها التي لن انساها ابدا كانت كالغريق الذي تعلق في بعض حروف خرجت من فمي

خرجت صديقتي مستنده علي ذراعي الي بيتها بعد ان تخلصت من حملها وكنت الي جوارها حتي استعادت عافيتها واستطاعت ان تتحمل اعبائها فاتصلت بصديقتي لترسل الولدين لاستقبلهم بالمحطه واوصلهم لامهم بالبيت ورتبت لها حياتها وتركتها لتسيير حياتها وعدت لحياتي لاطمئن عليها تليفونيا بين الحين والاخر كنت سعيده بانتهاء ازمتها خاصه بعد ان اتاني صوتها لتعرب لي عن امتنانها لعوده نفسها اليها بعد انتهاء ازمتها وعادت لعملها ولحياتها الطموحه التي تصنعها علي مهل

عادت هي لعملها وحياتها وانشـــغلت انا ايضـــا بعملي وحياتي لعده شـــهور لكنني كنت اتذكرها دوما مع فنجان قهوتي الصـــباحيه حتي فوجئت بتليفون من احد ابنائها يخبرني فيه ان ابوه قد قتل وان امه هي من قتلته

صعقت بالخبر ولم اصدق حتي طالعت الجريده صباح اليوم التالي ووجدت صورتها وتفاصيل الجريمه وعنوان الخبر

زوجه تقتل طليقها انتقاما منه لزواجه من صديقتها

خبر عار من اي صحه فاانا وحدي من تعرف تفاصيل اغتياله لها وانها قتلته دفاعا عن نفسها وعن اغتصابه لروحها قبل جسدها

تملكني الخوف مجســـدا وتســـائلت هل يمكن للمرء ان يقتل انتقاما لاغتيال روحه ولو الامر كدا طب انا ليه ماعملتهاش

فزعت لمجرد الفكره ورددت انه الوعي وهي غيبت وعيها وبادرتني الافكار هل تعرضـــت منه لموقف اغتصـــاب اخر جعلها تنتقم وعزمت علي زيارتها بمحبسها لاعرف تفاصيل ماحدث استغرق حصولي علي تصـــريح بالزياره لها وقتا طويلا لانني لم اكن من اقاربها ولكني كنت مرتاحه لهذا التاخير حتي اســـتمع منها بلغه العقل وليس رد الفعل الساخن للحدث

وفاجئتني انها من يوم واقعه اغتصابها وهي تحضر لحفله اغتياله وانها رتبت حياه ابنائها قبل ان تقدم علي فعلتها وتركت لهم خطابا يوضح حقيقه ماحدث مع شخص سوف يطلعهم عليه عندما يكبرون

قالت انها من استدعته لبيتها بحجه احتياجها لرؤيته وانها تزينت له والاكثر انها من عرضت عليه نفسها طواعيه واشتياق وكانت قد حضرت السم ووضعته بعلبه الشاي بعد ان ارسلت ابنائها الي جدتهم لابوهم في البلد ليقضوا بعضا من اجازتهم عندها وايضا لتثبت له حسن نواياها تجاهه وتجاه عائلته وبدات دلالها عليه وكلما اقترب منها شجعته ثم تؤجل بحجه ان الوقت معهم فهم وحدهم وهو يستطيع ان يقضي الليه بحضنها الذي تفتقده كان هو مستمتعا جدا معها وصارحها انه يود العوده لها وانه غير سعيد مع زوجته بادرته بالموافقه وبدات تخلع عنه ملابسه قطعه قطعه هي تحس السخونه بجسده فتزيدها بملامسته وملاطفته فيهم بالامساك بها فتفلت منه وهي تضحك بدلال يزيد شهوته وبدلال طلبت منه كوب من القهوه فهي تعشق طعمها منذ اخر مره اغتصبها فيها وانها احبته اكثر بعد تلك الواقعه فقام عنها وهو عاري تماما وذهب ليعمل لها القهوه ولنفسه كوب الشاي

احضرهم فااخذت منه الكوب بدلال اغراه لكنها امهلته ان يشربو القهوه والشاي اولا فشرع يشرب الشاي سريعا وهي تناغشه فتثيره اكثر

ثم تمتنع عنه لينهي كوبه وهي تشـــرب قهوتها التي تحب ان تحتســيها علي مهل كما قالت له

انتهي من شرب الشاي وقد تمكن السم من جسده كله ولم يعد قادر علي الحركه

اما هي فقامت باحضـــار الســـكين من المطبخ وخلعت الحزام عن بنطاله وبدات محاكمته علي حياتهم سويا وذكرته باعقاب السجائر التي كان يطفئها في جسدها فكانت تشعل السيجاره وتاخذ منها نفسا عميقا ثم تطفئها في جسده العاري فينتفض ولا يقوي علي الصراخ او المقاومه ثم اتت بالحزام تهوي به علي جســده المعرق وهي تبصــق عليه وعلي ايامها التي عاشــتها معه و تطعنه بالســكين في ذكورته بالســكين ثم تنهال مره اخري علي جســـده بالحزام وهو ينزف امامها ولايقوي علي عمل اي رد فعل حتي تمكن السم منه تماما ولفظ اخر انفاسه فجلست علي حرف السرير وامسكت بكوب القهوه وارتشفت اخر ماتبقي فيه من مراره عمرها وقامت ارتدت ملابسها واستدعت الشرطه

كانت تحكي مافعلته بدم بارد ولاتبدو علي ملامحها اي لحظه ندم اما انا فكنت ارتجف خوفا مما اســـمعه وتملكني الخوف من ذهاب العقل وتســـاء لت هل ذهب عقلها ام انها بقمه العقل حتي تقدم علي فعلتها بكل الشجاعه التي كانت تتحدث بها

تركتها علي وعد بالوقوف الي جوار ابنائها والاطمئنان عليهم وفي طريق عودتي عاودني خوف من المجهول ومن ذهاب عقلي وبعفويه وضعت يدي علي راسي وتمتمت داخلي انه عقلي ولابد من الحفاظ عليه

كنت اربعش خوفا وكرها وكنت اقول له لا اطيقك وداخلي كان يحمل له كل حقد وبغض العالم وعندما اصرخ ابعد عني انني تعبه

كان يرد انك ممتعه جدا وانت تعبه ومستسلمه لي وخائفه مني وتزيدينني اشتعالا ببغضك لي

ويتداعي شريط الذكريات بتفاصيله البشعه العالقه بالذهن تملاني حزنا ومراره

واتذكرني جسدا بلا روح واقول لنفسي انني كنت حره في الا امنحه روحي لان روحي يجب الاتشوه ويكفي الوحش ان ينهش جسدك فليترك روحك بدون تشويه

لقد احترمتي ذاتك ولم تمنحيه روحك وهو يعلم ويستمتع ويرددها كلما ارادك والاكثر يستمتع بعذاباتك

كان وضوحي معه من البدايه يزيد احترامي لذاتي وايضا لعقلي و ظلت المشاهد التي روتها صديقتي تسبب لي فزعا كلما خلدت الي

نومي كان ماروته كفيل بان يذهب النوم من عين اي شـــخص فمابالي انا المسكونه بالخوف من صـغري كانت ايضـا ملامحها وتحجر عيونها وهي تروي تزيـد التوتر داخلي فـااقوم فزعـه من نومي تحـاصـــرني الكوابيس ولااقوي علي التنفس واهمس داخلي ليت فضـــولي وتعاطفي معها ماجاؤني ودفعوني لزيارتها كنت وقتها ســـااتعاطف معها بدون معرفه الحقيقه التي تحاصرني في صحوي واكثر في نومي

وكنت تصرخين داخلك حررني من اسر الرغبه

فالصمت دروبي تحاصرني اعتقني فالعمر قصير

امنحني حياتي ووجودي التي تدور بي علي شطان البحر

كنت تسخر من جهلي وانت جهلي انت من يقيد افكاري

وكان كبريائي يركع امامي يستصرخني ان افك اسره منك

واطلق قيوده كي يرحل

شط العفاريت ...

يلطمني الزمن علي وجهي

فارجع بظهري للخلف واستند علي الخائط

تدور بي الدنيا وانزوي في ركن الحجره

واضع راسي بين يدي

ويتوقف الزمن

عدت لحياتي ولكن انا لم اعد كما كنت فقد كانت ملامح صـــديقتي وهي تروي لي ماحدث شبح يطاردني حتي في يقظتي

وانا المســـكونه بالخوف طيله حياتي كنت اخاف من الضـــلمه والصـوت العالي واخاف البرق والرعد واخاف انزل البحر تخطفني جنيه البحر الي بتنادي الصيادين وتاخدهم يعيشوا معاها في قاع البحر

مســـكونه بالخوف من الموت اللي ممكن ياخد اعز الناس عندك وانت واقف لاتستطيع فعل شئ

كان الخوف يتلبســـني طيله عمري من صـــغري واتخفي وراء القوه المزعومه

وزادني خوفا ماروته صـــديقتي بملامح جامده بارده ليس فيها من حياه

وازداد الخوف داخلي كلما شـربت قهوتي وحين اصـل لاخر رشـفه بـالفنجـان كـان حســـدي ينتفض واتـذكر اخر جرعـه من مراره عمري وعمرها

وصـممت بعدها ان اهتم بابنائي واحسـن تربيتهم واول قواعد التربيه ان يكونوا احرار مع ترسـيخ معني الحريه داخلهم وان يتمسـكوا بتلابيب العقل فما اقسي ان يفقد الانسان عقله وان انفي الخوف بداخلهم

لااعلم لمـا لحظتها وانـا اردد بـداخلي كلمـه العقل تـذكرتهـا تـانـت جارتنا وانا طفله كانت هذه الجاره علي قدركبير من الجمال عاشـت مع زوجها حياه غنيه بالمعني الحرفي للغني كانت تتمتع بكل ســـبل الحياه من شـقه فخمه واثاث فاره وخدم غير حماتها وشـقيقه زوجها اللتان كانتا تقطنان معها بشقتها وتقومان بتربيه اولادها والعنايه بهم

كانت تانت من اجمل سيدات الحي وكان الجميع يشبهونها بنجمات الســـيما العالميه كنا اطفالا وكنا نراها جميله جدا لكننا لم نري نجمات السينما العالميه فكانت هي بالنسبه لي ست الحسن والجمال التي تروي عنها جدتي بحكاياها حواديت في جمالها

لكنني لم اري يومها ان زوجها كان الشـــاطر حســـن الذي فاز بقلب ســـت الحســـن ومن الممكن ان يكون وضـــعه الاجتماعي والمادي هما مقومات الشاطر حسن

وكانت ست الحسن تتدلل علي زوجها وامه واخته فهي لاعلاقه لها باي شـــئ بالبيت اورعايه ابناءها هي فقط تتواجد بالبيت وقت وجود زوجها اما باقي اوقات اليوم

تقضيه بين شقق الجيران بعض الوقت والباقي من الوقت في شراء اشياء كثيرا ماكانت تنسي وتهملها وتجدها في سله القمامه

كان زوجها لايبخل عليها وهي لاتبخل علي نفســها او صــديقاتها خاصـــه من الاجانب والذين كانو يقطنون في الحي الذي نقطن به فكانت تقيم لهم حفلات اســبوعيه تجمع فيها صــديقاتها من العرب والاجانب وكانت ولائم الاكل من جميع الاصناف ومن ارقي المحلات

وما كان يتبقي من الوليمه يكون من نصــيب عامل النظافه في الشارع في اليوم التالي

كانت سيده كريمه لاقصــي درجه علي صــديقاتها وجيرانها وكان كرمها يصل احيانا لحد السفه اما اولادها فهي لاتتذكرهم وغالبا لاتراهم وهم ايضــا لايرون اباهم المشــغول بعمله اوبطلبات زوجته التي كانت تدخل في حالات عصبيه وتشنجات ورعشه بجسدها ويخاف زوجها عليها وهو الرجل المحب فلا يجد بدا الا الاســتجابه لطلبها بعمل زار وتاتي الست الشيخه لتستعلم اولا عن طلبات الاسياد قبل عمل دقه الزار

كنا اطفال الجيران نتجمع مع اولادها الذين في مثل سننا لنشاهد والدتهم وهي تتحدث بلهجات غريبه عندما تتلبسها الاسياد وكانت دعوه ابنائها كريمه ككرم امهم مع الغرباء كنا نري الست الشيخه السمراء المكتنزه والتي ترتدي جلباب رجالي وتعقد المنديل المطرز علي شعرها وعيونها الوساع المغرقتان بالكحل الاسود تمسك بتانت عدلات التي كانت تنتابها تشنجات وترطن بلهجات غريبه مره شامي ومره سوداني ومره انجليزي واخري فرنسي

والغريب ان كل شخصيه تتلبسها كانت تغير من ادائها وطلباتها وتنتهي الشخصيه حين تهوي الست الشيخه علي جسد تانت جمالات بضربه من كرباج سوداني كانت تحمله بيدها وكانت الطلبات في كل مره شاهدت فيها هذا الفعل هي نفس الطلبات عاوز ديك رومي و كمان خروف اسود وفيه بقعه بيضه واسوره دهب جنيهات دهب لزوم العسكري الانجليزي فاهم ولد جنيهات دهب والا لو انت ماجابش عشره جنيه دهب هيلبس جسمك مش هايخرج ابدا

كنت وانا صغيره ارتعب مما اري خاصه عندما يهوي الكرباج علي جسدها ومع ذلك كان اطفال الجيران يضحكون وهم يضعون يديهم علي وجههم خشيه ان يراهم احد وهم يضحكون فيطردوا خارجا

ثم ياتي يوم الزار بعد ان يحضر الزوج طلبات زوجته او طلبات الاسياد وتقام احتفاليه يدعي اليها صديقات الست عدالات وجيرانها

وتبداء دقات الزار تعلو وتعلوفاانزل من شـقتنا علي سـلم العماره واقف محاوله ان اري اي شـيء مما يحدث بالداخل لكنني لصـغر حجمي لااسـتطيع الرؤيه فااجتهد ان ادخل الي الشـقه من بين ارجل النسـاء اللاتي تسـددن عني الرؤيه باجسـادهن ولان حجمي صـغير اسـتطيع النفاذ الي الداخل فاشـاهد جارتنا وهي ترتدي جلابيه بلدي مشـغوله بخيوط الذهب من اللون الابيض وهي تترنح وتدور وتسـندها الشـيخه لتمنعها من السـقوط هي ومعاونها ويسـتمر الحال حتي تعلو الدقات الهيسـتيريه وتنفلت صـرخه الجاره ثم تسـقط الجاره مغشـيا عليها ومع سـقوطها يتوقف دق الطبول ويبداالموجودين في الاسـتيقاظ من هذه الحاله التغيبيه فاانسـل خارجه من بين قدمي الموجودين هاربه من رائحه البخور والدخان والعرق وسخونه الانفاس

كان هذا الطقس يتكرر كلما مرت السـت جارتنا بحالات العصـبيه التي تاتيها نتيجه الرفاهيه وكثيرا ماكان ياتيها والغريب في الامر انها لم تسـتشـعر بمرور الزمن ان زوجها بدء يفلس وتجارته بدات تنهار نتيجه لافعالها ولكثره انجابها ومصـاريفها حتي جاء اليوم الذي اغلقت فيه محلات زوجها واعلنو علي ابواب محلاته اشهار افلاسه

ومنذ ذلك التاريخ اختفت عفاريت وجان جارتنا التي اصبحت تتسول من احبابها اي شـئ يعينها علي الحياه لكنهم تنكرو لها وكانو ينكرون وجودهم عنها

كانت هذه السيده تتلقي مساعدات تاتيها من اغراب يتركونها امام بيتها ولاتعرف من الذي تركها لكن هذه المساعدات كانت تعينها هي واولادها لمجابهه حياه الفقر

والغريب ان الزوج الذي تحمل الافلاس وكان يحاول البدء من جديد لم يعنفها ولم يتهمها بانها السبب فيما وصلو اليه من حال لكنها هي من ادانت نفسها واعترفت ان ماكان ياتيها لم يك سوي دلع وملل وفراغ

وان الاسياد دي خرافات انساقت هي ورائها محاكاه لصديقاتها فاوصلت عائلتها للدمار الذي انعكس علي حياتها وحياه اولادها

كانت جارتنا عندها ثلاث بنات من اجمل بنات الحي وابنائها الذكور كانو ثمانيه ابناءوكنت احب ابنتها الكبري التي كانت تتعامل معي بلطف وتتحدث امامي مع صديقاتها بلاحذر علي اعتبار انني طفله لن انتبه لما تقول كنا نتجمع ابناء العماره جميعا في سطوح العماره الذي كان مكانا ومتنفسا للبنات تحديدا وخاصه في ليالي الصيف ومواسم الامتحانات كان السطوح عالما اخر تمارس فيه كل الالعاب والحكاوي وعمل ولائم صغيره كل واحد يحضر من بيته شئ للاكل ويوضع كل ماوتوا به في مائده واحده يتجمع فيها الصغار والكبار من ابناء العماره وهم ياكلون ويتناوبون الضحكات

وكانت الابنه الكبيره لتانت تنتحي جانبا لها مع صـــديقاتها وتاخذني بجوارهم ويتحدثون عن عصام الذي تحبه سهام ابنه جارتنا وكان عصام مهندســـا وابن لعائله من العائلات الكبيره التي توازي في كبرها ومقامها عائله تانت جارتنا في الاصـل والغني وكانت ام عصـام دائما تقول ان سهام عروسه عصام حتي اتي الوقت الذي اشهر فيه ابو سهام افلاسه هنا تبدل الحال واصـبحت ام عصـام تضـيق الخناق علي ابنها ليحادث ســهام وتفتعل الخناقات مع جارتنا وتعايرها بفقرها وفضــيحه افلاســهم وان ابنها لايمكن ان يتزوج من ابنتهاكنت اري دموع ســهام واحزن علي فقدانها لحلمها وحب حياتهاوكانت ســهام تعطيني خطاباتها لاوصـــلها لابيه عصام وبالتالي احمل رد ابيه عصام لها كنت بينهم حمامه السلام التي تحمل رســائل المحبه حتي اتي اليوم الذي ســمعنا فيه زغاريد اتيه من بيت جارتنا وتســائل الجيران ماذا يحدث فااخبرتهم ان ابنتها ســهام جاءها عريس عربي وسيتزوجها ويسافر بها الي الاردن في خلال شهر

كان هذا العريس فلســـطيني يعمل مهندس بـالاردن دفع مبلغ من المال كمهر احست معه جارتنا انه سيعينها علي تربيه ابنائها وان ابنتها ستبعد عن المدينه التي تعرف كلها حكايه عصـام وسـهام وانها الفرصـه التي جاءتها لتســترد كرامتها بعد التشــهير الذي اصـــاب ابنتها من ام عصام

ورغم بكاء سهام الذي كان يدمي قلبي الطفل وخاصه كلما استمعت لاغنيه انت عمري لام كلثوم وهي اغنيتهم المفضله والتي كانو يستمعون لها معا في ليالي حفلات ام كلثوم الشهريه وكنت وانا طفله اتسحب لسطوح البيت واشاهدهم وهم يقفون معا كل واحد بشباكه وانا اتلصص عليهم من المنور في السطوح واسعد وهم متشابكي اليدين عبر المنور

وبين هذا الزمن ورؤيتي لسهام وهي تتابط ذراع زوجها مغادره معه المدينه الي بلده العربي افلتت يدها من ذراعه لتحملني وتطبع قبلاتها علي وجهي وهي تودعني وتضع ورقه صغيره في يدي وبهمس تقول لي اعطيها لعصام ثم انزلتني ووجهي مبلل بدموعها التي كنت اعلم انها ليست دموع فرح او غربه انما كانت دموع قهر

اطبقت بيدي الصغيره علي الخطاب ونظرت تجاه شباك ابيه عصام فوجدته ينظر بحزن للمشهد وللمودعين واحسست لحظتها ان الزغاريد التي كانت تملا اركان الشارع كانها صراخ وعويل يخرج من قلب سهام

اعطيت ابيه عصام الخطاب وانا كلي كراهيه له فقد كان خوفه من امه السبب في فقداني لصديقتي الكبيره التي غمرتني بحبها وامنتني علي سرها ومن بعدها كنت اتعمد الا احادثه او اتكلم معه حتي جاءه التعيين

فقد عين مهندسا في السد العالي وتكرر مشهد وداعه من اسرته وشاهدته وهو يتجه الي العربه التي ستقله الي محطه القطار وهو ينظر الي شباك سهام المغلق وكانه يودع احلامه ولم اعد اراه الا في زياراته القليله لاسرته

مرت علي هذه الواقعه اربعه اشهر وحدثت هزيمه يونيو وانقطعت اخبارسهام وحارت امها وابيها لكن امام الخطر الذي كنا نواجهه من غارات علي مدينتنا بورسعيد اتخذ الكبار قرار بالهجره لانقاذ الصغار وهاجرت عائله تانت

مع عائلتي ومعنا جيراننا وركبنا جميعا مركبا من بحيره المنزله تعرض هذا المركب الشراعي للتوهه في البحيره وقضينا ليلتنا في البحيره ومااصعبها ليله فقد كانت الليله بلا قمر في السماء وكانت طائرات العدو تحلق فوق رؤسنا راءينا القذائف وسمعنا الانفجارات تدوي

كنا كاطفال مذعورين مما نتعرض له ولانفهم سببا له اما الكبار فقد كان خوفهم مضاعف لانهم يخشون علي انفسهم وايضا علي اولادهم ولاول مره اشاهد تانت اما

فقد اخذت ابنائها الصغار بحضنها ولاول مره اشاهد الام فيها مرت ليلتنا الحالكه السواد وبزغ الفجر ومعه توقف صوت القذائف والانفجارات مخلفا الكثير من الدخان

واخبرنا وقتها ريس المركب انها راس العش واستكملنا مع طلوع النهار الرحله الي اول شاطئ قابلنا كانت بلده صغيره بيوتها طينيه جري اطفالها ليعلموا من بالبيوت ان هناك مركب قادم فخرجت بيوت القريه النساء والرجال والشباب كلا يحمل صينيه وهذا يحمل ماء واخري تحمل العيش السخن وافترشوا مائده كبيره للمتعبين

جلس الجميع مع اهل القريه وتناولوا اول طعام بعد التوهه التي استمرت يوم ونصف كان كرم اهل القريه وودهم حافز لبعض الاسر باتخاذ قرار بالبقاء في القريه الي ان تتضح الامور واتفق الجميع من بقي ومن غادر الي بلده اخري كاسرتنا ان نبقي لحين سماع خطاب الريس في عيد الثوره كان امامه اسبوعان وعندها يقررون اذا طالت مده الحرب يعودوا الي بورسعيد اما اذا قرر استمرار المعارك فنبقي بعيدا عن مرمي القذف

وجاء الخطاب ليعلم الجميع بطول المسافه وانها ستكون حرب استنزاف ولابد من طول النفس والصبر فاتخذ الجميع قرار العوده للبلده في اليوم التالي

وعادت اسرنا وعاد قلق تانت علي ابنتها وخوفي وقلقي ايضا عليها

حتي بعد مرور شهران من الهزيمه فوجئنا بسهام تاتي الي بيتها لاتحمل اي متعلقات غير شنطه يدها فجريت اليها لاحتضنها كانت

مجهده ولم تكن هي من ســـافرت امامي نعم كانت في ســـفرها مقهوره لكنها في تلك المره مكسـوره راسـها منكس تقف الدموع معلنه عصـيانها علي النزول لم اعلم ماذا احل بها الا عندما ســـمعت الكبار يتحدثون انها حامل بالشـــهر الثالث وان زوجها طلب منها المغادره حتي تنتهي الحرب فقد احتلت المدينه التي كانت تسـكنها وان رحله عودتها لمصـر كانت مغامره وانقطعت اخبار زوجها عنها وهي لا تعلم ان كان علي قيد الحياه ام غادرها

وعادت لتكمل ماسـاه غياب عقل امها فهي جريمه لاتقل عن جريمه غياب عقل صديقتي

لم تقف ماســـاه ســـهام عند حد رجوعها وهي تحمل وليدها بداخلها لكن الحياه وقتها في مدينتنا ازدادت سوء بفعل الحرب والهزيمه

عودتها منكســـره ذليلـه الي المدينـه التي تعرف تـاريخهـا وعلاقتهـا بعصام وحبها له

وطبعا كانت اسـرتها تمر بظروف ماديه صـعبه ادت لتشـرد اخوتها الصـغار بالشـوارع بعد تركهم لدراسـتهم ومحاولتهم التسـول ادمي نفسـها الكسيره فهي قد بيعت في صـفقه من اجل هؤلاء الصـغار وهاهي بيعت بلاثمن

فاعتملت في نفســـها فكره الانتحار والتخلص من حياتها ومع اول ازمه مع والدتها فتحت الشــباك لتلقي بنفســها منه فتســقط علي بلكونه الجيران وتنقذ ســـهام من الموت بعد ان تكون فقدت وليدها وكســـرت قدمها

لم تفقد ســهام وليدها فقط ولم تكســر قدمها فقط لكنها فقدت حريتها وكسرت نفسها واصبحت ذليله وبدات ملامحها تكسوها الحزن والمراره واصبح الاهمال في هيئتها هو السمه الغالبه عليها

حتي اتت اوامر الحاكم العســـكري للمدينه بالتهجير بعد عامين من الهزيمه والمعاناه من الغارات المفاجئه والمباغته ســـواء في الليل او النهار

فهاجرت عائله جارتنا الي مدينه طنطا وســـكنوا ايواء من ايواءات التهجير وقتها وبطبيعه الحال انقطعت اخبارهم عنا كما انقطعت اخبار الجميع عن بعضهم الا فيما ندر

لكنها دائما كانت في ذاكرتي ودائما كان مشـــهدها وهي تقف في شـباكها ويقف عصـام في شـباكه ويسـتمعون معا لاغنيه ام كلثوم انت عمري

ثم ياتي مشـهدها لحظه عودتها جريحه ومهزومه وفاقده لشهيه الحياه

وكان اكثر المشـــاهد التي تثير في نفســـي الوجع يوم تعلقت باحبال بلكونه الجيران وهي تحاول الخلاص

مرت ســنوات الهجره طويله كئيبه تقطعها احداث ســياســيه وتغيرات اجتماعيه وصـــراعات بيننا نحن المهاجرين وبين ابناء البلده الذين كانو يرونا مغتصـــبين لحقوقهم في التعليم والســـكن والاكل للدرجه التي كانوا يقولون لنا انتم غليتو علينا المش كصـيغه مبالغه واسـقاط ان كل شـئ ارتفع ثمنه

كنت اتعامل مع صـديقاتي المهاجرات والذين كانوا بالايواءات بلطف شـــديد فانا اعلم ماصـــابهم من ظلم وتغيرت حياتهم من الرفاهيه الي شـــظف العيش وكانت البنات تعيش في ماســـاه فالحجرات مشـــتركه والحمامات مشتركه وليس لهم او لعائلاتهم اي خصوصيه

وكثيرا ماكانت البنات تتعرض للتحرش الجسدي واللفظي من الشباب جيرانهم في الســـكن او من اهل البلده التي اعتبروهم منحلين اخلاقيا لمجرد انهم نتيجه لظروفهم يقطنون ايواء في مدرســه او منشــاه حكوميه كساحه شعبيه او نادي من النوادي الشعبيه

انتهت ســـنوات الهجره وعادت بلدتنا تضـــج بالحياه ومعها دخل الغرباء للمدينه للمشـــاركه في اعمال الاعمار للبيوت التي خلفها دمار الحرب والقصف

كنت اتلهف علي معرفه اخبار جيراننا واصـــحابي اصـــدقاء الطفوله لكن اهم ماكنت اريد ان اعرفه اخبار سـهام وكيف هي الان كانت تاتينا اخبار متناثره من معارفنا لانهم لم يعودوا للمدينـه الابعد عام كامل من عوده المدينه

ومع الاحتفال ببورســـعيد كمدينه حره كنت بمدينتي ونحن نســـمع لاصـوات صـافرات السـفن في القناه وكانها تزغرد خرجت الي الشـرفه لاشـاهد السـفن والالعاب الناريه في السـماء فاذا بعربه ملاكي احدث موديل تقف امام العماره وتنزل منها سيده علي درجه عاليه من الشياكه والجمال كانت ترتدي تايير من اللون الكحلي وتحته بلوزه سماويه اللون

تنحي الســـائق بعد ان فتح لها باب العربه فاذا بها تلوح لي وكان ورائها زوجها الذي تذكرته هو محمود زوج سهام هذا العربي الذي كانت تتابط ذراعه يوم ودعت حبها

لم اصـــدق عيني لوحت لها وطلبت الانتظار حتي انزل لها ونزلت وكان اللقاء حارا جدا وبعد ان سلمت علي زوجها استاذن وصعد للبيت امانا و هي فوقفنا نتحدث واســـالها عن احوالها قالت ان محمود نقل نشـاطه للكويت وعندما اسـتقرت احواله اتي اليها وعلم ماحدث لها وانه اصـــطحبها ومعها اخوتها البنين والذين يعملون بشـــركته وان الاحوال تغيرت واصـــبحت تعيش حياه رغده وانهم عادوا لما كانو عليه قبل افلاس ابيها

وقالت ان محمود سـيفتح فرع جديد لشـركته بمدينتنا كي تكون علي تواصـــل مع اهلها وخاصـــه انها انجبت ولدان وهي تريد ان تربطهما بمصر

كانت ســـهام التي تتحدث معي غريبه عني فقد تلونت بالاصـــباغ حتي شعرها تغير لونه ومعهم تغيرت لكنتها

صـــارت ســـهام غريبه عني حتي انها طيله وقوفها معي لم تتطلع علي شباك عصام فلقد ماتت مشاعرها وحلت محلها الماده

تركتها بعد ان عرفت انها عادت الي زوجها وان حياتها اســـتقامت ومعها عادت اسرتها الي وضعهم المادي القديم

جاء الانفتاح ليعلن عن نفســـه في المدينـه التي تغيرت ملامحها واصبحت مثل سهام تهتم بالماده علي حساب مشاعرها

وتكررت زياراتي للمدينـه وكنت ارصـــد تغيراتها وتغيرات البشـــر واعذرهم

فكم من حكايا تشـــبه حكايه ســـهام وعصـــام وكم من نفوس هزمها الانكسار وضبابيه الحلم وفقدهم كبريائهم

واصبحت سهام بعد سنوات قليله من اشهر سيدات الاعمال العرب للدرجه التي تنكرت فيها لمعارفها وجيرانها واحبابها بعد ان اصـــبحت مليونيره ولاتتحرك الا بالحرس الخاص لها ولابنائها

وكان ان تقابلنا بمحض الصـــدفه اتعمد الا انظر ناحيتها فاجدها تســتوقف الســائق وتنزل من العربه لتســلم علي وتســتعلم عن احوالي ولسان حالها كان يقول انت كنت شاهد علي ماحدث فلاتلومينني

لم اوجه لوما لها يوما حتي بيني وبين نفســـي فقد كانت هي ابنه لظروفها التي اوصلتها الي هنا

ســيده اعمال وماهي هذه الاعمال كانت التجاره في اي شـــئ وكل شئ علي حساب الغلابه

كانت تنتقم من مجتمع ادانها لفقرها وحكم بموت مشاعرها لقد بيعت بثمن بخس

هي الان تسترد قيمتها باي ثمن حتي لو كان الثمن مشاعر البشر

وذلك مافعلته مع شـقيقاتها الاصـغر فقد زوجتهن بصـفقات تجاريه وتغاضـت عن مشـاعرهن ورغباتهن فلقد اصـبحت هي المسـيطر علي قرارات عائلتها بعد ان اعادت لهم مركزهم المادي ونفوذهم العائلي

ولما الوم عليها وانا ايضا قد تم تزويجي بصفقه فكانت صفقه جارتنا معادل لصفقتي انا ايضا

لكن التمرد داخلي مضـــاف اليه الوعي واراده الاختيار هما الحكم علي تجربتي اما هي فقد كانت ابنه الوجع والهزيمه

غابت سـهام كثير وانتقلت عائلتها من الشـقه التي كانو يقيمون فيها وانقطعت اخبارهم المباشره وبداءت تغيب شيئا فشيئا عن ذاكرتي خاصه مع تطورات حياتي وصراعي مع زوجي واصدقاءه حتي جاء يوما كنت اسـير في شـوارع مدينتي اتامل الشـوارع التي صـارت تتغير معالمها ووجوه الغربـاء الـذين غزوا المـدينـه ومعهم اختفـت الوجوه المـالوفـه للعائلات المعروفه بافرادها وتاريخها حتي وقفت بجانبي عربه وبداخلها امراءه تتخفي وراء نقاب نادت علي فلم اعرها اي انتباه خاصـــه وان لكنتها كانت خليجيه ولما اقف وهي لاتفصح عن وجهها

فوجئت بها تناديني باسـم الدلع لي وانا صـغيره وهذا الاسـم لايعرفه الا القريبون جدا

توقفت عن المسـير ونظرت تجاهها وقبل ان ابادرها بالسـؤال قالت لي: انا سهام جارتكم

نزلت من العربه لتســلم علي وتقف لتتحدث وتســال عن احوالي واحوال جيراننا

سالتها: لماذا ارتديتي هذا الزي

ردت: الحمد لله فقد هداني الله واتمني ان يهديك ايضا

قلت لها: ان الله يعلم مابالقلوب وهل الزي دليل هدايه

رمقتني من عيونها الظاهره فقط من الزي الغريب عني بنظره تحد واضح وقالت :نعم هو اعلان للهدايه

تركتها مودعه اياها ولاخر مره وانا ابتسم بيني وبين نفسي لقد تلبستها اسياد امها بصوره جديده لم نلتق بعدها ولم اعد ابحث عن اخبارها بعد

الطريق الي الحب مختصره جدا تبدا من النهايه فكل الطرق لاتؤدي الي الحب طرقك واعره مشاها شبابك ولم تعبد دروبها وتجاربك ضحله وانت تتسكعين نحو الابديه سكن في حلقك عطش الخيبه فوق مساحات القهر وجبال الحقد الانساني وحقول البرد

تاخذك هزائم العشق الممتلئ كذبا ورياء وتطاردك فيسقط وهج الروح وينطفئ بريق الغيون وتموت براعم الاحلام ومع ذلك مازلت ياقمر السماء علي العهد رفيقتك الابديه بالرغم من مغادره الحب للقلوب بعد ان تحولت المشاعر لحفنه رمال داستها اقدام العابرين

لااعلم لما تتداعي هذه الذكريات الان لكن كل مااعلمه علي مستوي وعيي هو الماسا ه التي تخلفها غياب العقل

عشت انا وابنائي حياه مستقله مغلقه علي ذواتنا في كهفنا الصغير الذي اخترناه كان لزاما ان نختلي بانفسنا لنعيد توازن زواتنا ولاعيد انا تربيه ابنائي وتنظيم حياتهم وكان مايحكم الحياه هو النظام والصراحه والتعاون في كل صغيره وكبيره بالبيت وبالحياه اردت ان اعودهم علي تحمل المسئوليه من صغرهم والاهم تنميه التفكير بداخلهم مضي علي وجودنا بحياتنا الجديده شهور لم تكن سهله بالمعني المعروف لكنها مرت بحلوها ومرها وكنت اغلق علي ذاتي فلا علاقه لي باي من سكان العماره وكان قراري لنفسي ولاولادي لاتعامل مع الغرباءوبدء احساس الوحده يتسرب الي نفسي خاصه مع نوم الاولاد وقضائي وقت كبير خاصه في الليل وحدي

كنت اعرف ان الطريق طويل وشاق وان اللقاء دائما هو ابا للفراق فلقد فارقني مجددا النوم والفت الارق غزلت نسيجا من الاوهام واضفت اليه من غموض الاساطير وحاولت ان ابعد بقلبي عن الانين والاحتراق وبحثت في دفتر روحي وفي عيني عن اسرار الكتابه فكانت تنساب رؤي واحلام ووجدتني مغرمه باختزال الاجابات

الليل يغرق في الصمت وتعلو الاسئله وتهبط لتسكن في قاع النفس ويستقر معها القلق هذا الغريب الذي يسري في كياني

انصت للصمت والسكون فيثير الترقب في نفسي يمضي الزمن يعزل فيه الضوء عن مصدره

الفتيل قد سرق تري من الذي سرق الفتيل

هل سرق ونحن نسير باتجاهات معاكسه فالعلاقات الجميله لايمكن ان تنمو الاحين تتبادل نظراتها مع ضوء الشمس وتعمق صلتها بالارض

لكننا محاصرون بالضلمه ومحاصرون بالكراهيه

فينحسر الضوء تدريجيا السماء موحشه والليل بدون قمر غابت نجومه تحتبس الانفاس وترتعد الاطراف في ظلمه الليل ووحشه وخوف تلك الجدران الليليه والباب المغلق زنزانه يفرضها الليل والناس

الصمت رهيب يسكن المكان والاتربه تتكاثر ومعها الاوهام تنسج خيوطا قويه داخل الراس المجهد

جو مريب وصوت داخلي يتسرب داخلي يملؤني في الليل ويخرس كلماتي علي الشفاه التي تعجز عن الرد

لقد فرضت علي العزله او فرضتها انا علي نفسي

حتي كان الزلزال تجربه خضـــتها انا وجيراني في العماره التي كنت اقطن بها

وانفتحت الابواب المغلقه ومعها انفتحت نفســي علي جيراني وتعرفت عليهم وشاركنا بعضنا الخوف من المجهول

فانا كنت اقطن بالدور الاخير في بنايه من ســـبع ادوار وكان معي في نفس الدور جارتان احدهما اســكندرانيه كانت ســيده شــديده الجمال وشـديده الرقي تركت مدينتها الاسكندريه بعد ان تزوج زوجها عليها وهو رجل الاعمـال ورفضـــــت هي الاســـتمرار معـه وطلبت منـه الطلاق فاستجاب لها

تركت له ابنائها وهم ثلاث بنات وولد

البنت الكبري تركت دراستها لرعايه اخوتها مع جدتها لابيها

والثـانيـه والثـالثـه كـانو بمراحـل التعليم الاعـدادي والثـانوي امـا الولـد الوحيد فكان بالمرحله الابتدائيه

وزياده في العند تزوجت جارتي من رجل يصــغرها باكثر من عشــر ســـنوات كـان متزوجـا من قبـل وطلق زوجـه لانـه لاينجـب كـان يعمـل بالتجاره

اما جارتي الثانيه فقد كانت صعيديه الاصل جاء زوجها الي منطقه القناه ليبحث له عن عمل وقد فتح كافيترياكبيره وبعد استقرار اوضاعه ترك الكافيتريا في عهده شقيقه وسافر الي بلاد الخليج تاركا اياها مع خمسه من الابناء ثلاث بنات وولدان اكبرهم بنت بالمرحله الاعداديه واصغرهم خمس شهور

كانت تفاصيل حياتهم تتضح امامي شيئا فشيئا وهم الذين يقضون الليل في شقتي خوفا من توابع الزلزال حتي اذا احسسنا بها تعاونا في الحفاظ علي الابناء وانزالهم للدور الارضي بشقه كان يستاجرها زوج جارتي لعمال كافتيريته

وكان الليل فرصه للبوح والبكاء فاحداهن تبكي فقدها لاولادها الذين يرفضون حتي الرد عليها في التليفون

والاخري تبوح بانها انجبت خمس ابناء ولكنها لم تعش مع زوجها اكثر من نصف عام هي مجمل اجازاته من الخليج وفي كل مره يتركها وهي حامل ليغادر

وهذه المره غادر تاركها لغربتها مع نفسها وايضا لغربتها في مدينه جديده ليس لها فيها اي احد غير شقيق زوجها الصعيدي الذي يرسل لها مصروفها اليومي دون ان يسال عنهم او يراعي متطلباتهم

وهي عليها ان تتابع ابنائها وتربيهم وتعلمهم وكانت حريصـــه علي تعليمهم خاصه البنات لانها هي لاتعرف حتي كتابه اسمها

كـان خليطـا عجيبـا بـدء يتجمع من الاوجـاع والخوف والمجهول وصـــارت علاقه جديده لها شـــكل اخر وابعاد اخري تتضـــمن داخلي احساس مضاعف بمسئوليتي عن هؤلاء الاطفال

اسـتغرقت في تربيه اولادي وازاله اي اثر في حياتهم السـابقه وايضـا كنت معينا لجارتي علي تربيه ابنائها ومحاوله تعليمها والاهم ان تكتب اســمها والاتوقع غلي اي اوراق لشــقيق زوجها الا بعد اطلاعي عليها لان زوجها ترك لها توكيلا للتصرف في جميع مايملك

اما جارتي الاخري فقد استعانت بي للتحدث تليفونيا الي جده اولادها في محاولـه للتقارب بينها وبين ابنائها وقد نجحت المحاوله وطلبت من الجده ان تقوم جارتي بزياره ابنائها فوافقت الجده بشـرط ان اصـطحبها حتي نستطيع سويا السيطره علي مشاعر البنات خاصـه الكبري والتي كانت تحقد علي امها لتركهم وزواجها والانتقال لبلده اخري

ذهبنا الي الاســـكندريه وتحديدا الي بحري الحي القديم والعتيق فيها تشتم فيه رائحه الناس الطيبين الجدعان وولاد البلد

من لحطه وصـولي للمكان كان انطباعي مريحا خاصـه للجده تلك السـيده العجوز ذات الملامح الجميله والاصـيله والتي اسـتقبلتني بحفاوه

شـــديده انا وابنائي حيث كنت اصـــطحبهم معي وزادت الحفاوه حينما علمت بانفصالي وباننني لم اتخلي عن اولادي

وبعد الانتهاء من الترحيب فاتحتها برغبه جارتي ان نصــفي النفوس للاولاد وكنت اقصد اولاد جارتي

ردت علي ان البنات في الداخل يرفضــون الخروج لمصــافحه امهم وانها حاولت معهم قبل حضورنا لكنها لم تستطيع التاثير عليهن

اما الولد الصــغير فهو مع ابيه وســيحضــره علي ميعاد الغدا حتي يري امه

استاذنتها ان ادخل وحدي للبنات لاتعرف عليهن واسلم

قامت معي في حنو وهي تتحســـس جدران بيتها لان نظرها كان ضــعيفا بحكم كبر الســن وادخلتني الي حجره البنات وعرفتني عليهن وتركتني وغادرت الحجره وهي تبتسم ابتسامه معناها تمني من قلبها ان انجح في مهمتي الثقيله

مددت يدي للبنات لمصـــافحتهم فبادروني بالمصـــافحه وجاءت اصــغرهن لتقبلني وتدخل بحضــني فرمقتها الكبيره علي اســتحياء مما جعلني ادعوها ان تاتي الي حضــني فجاءت وكانها تســتعيض به عن فقد حضن امها

واحسست لحظتها ان مهمتي ليست بالمستحيله لكنها ايضا ليست باليسيره خاصه مع البنت الكبري

جلست معهم وعرفتهم علي نفسي وعملي وعرفوني علي انفسهن وتبادلنا الحوار في اهتماماتهم كبنات في الموضه واحدث الاغنيات واحلامهم وامنياتهم ولم اتطرق من قريب او بعيد الي الموضوع الرئيسي وهو امهم

حكيت لهم علي المدينه التي نعيش فيها وانني اكتشفها لانني جديده عليها وكم هي مدينه جميله وهادئه ممادفع الصغيره لتقول نفسي اشوفها فرددت طبعا لكم مني دعوه مفتوحه لزيارتي والاقامه معي لاي مده تسمح لهم

ردت الوسطي في الاجازه نيجي نقضيها عندك بس هاتكوني معانا وتفسحينا

فرحت جدا بمبادرتهم وشجعتهم عليها واثرت فضولهم تجاه عالم جديد ينفتح امامهم

سالتني الكبري عن بلوزه ارتديها منين لانها عاجباها قوي

رددت انها من محلات زوج والدتك فهو يعمل بتجاره الملابس وقد اعجبتني وعمل لي تخفيض مناسب

كنت احدثهم في اي شئ له علاقه بعالم امهم دون ان ادخل مباشره في موضـــوعهم وعندما اخبرتهم اننا يجب ان نغادر اليم عائدين الي مدينتنا وجدتهم يتمسكون بالبقاء الليله والمغادره في الغد

رددت ان وجودي مقبول وممكن ابقي بس المشـــكلـه مـامتهم اين ستذهب وليس لها مكان في الاسكندريه تقيم فيه ليلتها

ردوا سريعا ثلاثتهم تنام هنا

كانت تلك الفرصــه التي اغتنمتها كي ا دخل للموضـوع فقلت وكيف تبقي واصحاب البيت لايرغبون

ردت الوسطي لا جدتي تحبها وستسمح لها

قلت لم اقصـــد جدتكم لكنني اقصـــدكم انتم فحتي هذه اللحظه لم ترحبو بها كضـيفه عندكم وايضــا لم ترحبو بابني وابنتي وهم ياتون الي مدينتكم وبيتكم لاول مره

ابتســموا وتســاءلوا في فرحه صــحيح ولادك معاكي قلت لهم انهم يجلسون مع امكم بالخارج في انتظار ترحيبكم

خرجت البنت الصغري وتلتها الوسطي اما الكبري فقد جلست مكانها منكســه الراس لم تنظر ناحيتي ولم ارد ان اضـغط عليها فامامي متسـع من الوقت مازال لازاله مافي نفسها من الم ومراره

مســـحت بيدي علي شـــعرها الذي كان ينســـدل علي ظهرها بحنو وتركتها لاخرج واستطلع ما بالخارج فوجدت جارتي وهي تحتضن بناتها وتجهش بالبكاء

كانت نظراتها لي تنطق بالشكر والامتنان فبادرتها انتي ياستي احنا صـيوف عندك مش هاتتطبخي عشـان تاكلينا انت والانسـات دول بما اننا بعد اذن الحاجه ســنقضـــي اليوم ونبات هنا مع القمرات دول اللي عزمونا نقضي اليوم ونسافر غدا

هللت الجده مرحبه وقامت لتحضـنني بكل الود والمحبه واصـطحبت جارتي بنـاتهـا ودخلن الي المطبخ بعد ان ارشـــدتهـا الجده عن مـاذا ستطهو

جلسـت بجوار الجده وقلت لها باقي امامنا مشـكله الكبري ردت انها اطيب مافيهم وهي تحب امها وتفتقدها ولانها تخلفت عن الدراسـه بسـبب ظروف اخوتها وطرحت مشـــكلـه للبنت انها تحب ابن الجيران وهذا الشـاب ظروفه الماديه صـعبه واذا تزوج فسـوف يتزوج مع امه لانه غير قادر علي الحصول علي شقه

وهي تخشـــي التحدث مع ابنها ابو البنت في الموضـــوع لانها واثقه من رفضه

وجدتها فرصه للتقريب بين البنت وامها فها هو موضوع ممكن تدعم الام ابنتها فيه قمت الي الغرفه الاخري لاجلس واتحاور مع البنت الكبري في انها لابد وان تغفر لامها وانها الان كبيره بما فيه الكفايه لان تدرك ان امها لم تضحي بهم لكنها الظروف التي وضعتها في اختيار مابين كبرياءها وتربيتهم

وانها بكره ترتبط وتعرف انها لن تتحمل ان يحب رجلها او يتزوج عليها وهي طبيعه المراءه

بادرتني بانها مرتبطه عاطفيا بشاب هو جارهم وتخشي رفض ابيها لانه في مستوي مادي اقل منهم

قلت لها لن يدعمك سوي والدتك فمن ذاق الظلم لن يسمح به حاولي تتعاملي معاها وتغفري ووعدتها ان نقف بجانبها ونكمل مشروع ارتباطها بجارها خاصه بعد ان اكدت لي الجده في حوارها ان الشاب يحمل من صفات الرجوله الكثير

كانت مشاعر البنت تتارجح بين الرفض والموافقه ولكن بالحاح مني وببعض الانتهازيه منها وافقت

خرجنا من الغرفه التي حبست نفسها فيها لاكثر من ثلاث ساعات من لحظه وصولنا واتجهنا الي المطبح مع نظرات الجده التي كانت تتابعنا مبتسمه

دخلنا الي المطبخ وبمجرد ان شـــاهدتها الام احتوتها بين زراعيها وانهـالـت عليهـا بـالقبلات التي كـانـت مبللـه بـدموعهـا ودموع عـدم التصديق

كنت ســعيده انني وبرغم عدم معرفتي بهم الا انني اســتطعت اذابه الجليد عن مشاعرهم تجاه امهم

خرجت لاجلس مع الجده والتي تشـــبه في روحها جدتي التي كنت احبها وذلك البيت القديم والذي يبعث الطمانينه في نفسي

كان احتواء هذه السيده العجوز لي بمشاعرها يدفع بداخلي طاقه من الامان ويسحب ببطئ خوفي من المجهول

وماهي الا بعض الوقت حتي اتي الصغير ابن جارتي دخل مع ابيه وجري الي المطبخ ليســـلم علي امـه اما ابيهم فلقد تعرف علي وجلس مرحبا بي مع امه

خرجت جارتي من المطبخ كي تســلم عليه فوقف وبكل الاحترام مد يده لها لمصافحتها وقبل يدها كهانم وابتسم مشيرا لها بالجلوس

قالت له انها تتطهو في المطبخ ففاجئها انه ســياكل معنا لان اكلها واحشه

تلعثمت جارتي واحمرت خجلا كطفله وغادرت لاعداد السفره التي جلس عليها الجميع يتناولون طعامهم ويتبادلون الاحاديث وتعلو الضحكات وانا وسط ذلك كله انظر للجده التي ثبتت نظرها عندي مبتسمه لانني اعدت لها بهجه العيله

انتهينا من تناول الطعام فقامت جارتي باعداد القهوه وتقديمها فطلب منها ابو الاولاد ان يحدثها منفردا وخرج معها لمده ثوان ليعودا الي الداخل لاحتساء القهوه لتعلن جارتي ان ابو ابنائها قد عزمنا كلنا علي فسحه في الاسكندريه والعشاء في مكان راقي ابتهاجا بوجودنا

شكرته واعتذرت لانني لابد وان اذهب الي مكان انجز فيه عملا ثم اعود

قالت جارتي فلتذهبي الان وتعودي قبل المساء حتي نلبي دعوته لانه مصر عليها

تركت اولادي في رعايه الجده ووعدتهم الا اتاخر اكثر من ساعتان

لم يكن عندي ارتباط الا بذلك المكان الذي اجد نفسي فيه وذكرياتي معه تلك الذكريات المدفونه بداخلي والتي كلما حاولت ان اخرجها من مامنها كانت تلوذ بالفرار والاحتماء بالاعماق

غادرت البيت وداخلي مشـــاعر مختلطه مابين الرضـــي والتوجس والقلق واكثر ماكان يقلقني هو جارتي ومشاعرها الواضحه تجاه طليقها

كانت خطواتي تقودني الي القلعه فانا اشـتاق لقلعه قايتباي وصـوت ارتطام البحر بالصـــخور وتلك الاشـــكال الاســـطوريه التي يكونها زبد البحر علي سطح الماء

اعبر السـور الضـيق مابين البحر والقلعه واصـعد فوق الصـخور لاستلقي تاركه همومي الكثيره

واتذكر نحن من نصنع الجدران عوازل مانعه واوهام نصدقها ونعيش داخلها

كانت رائحه اليود التي تشـبع الهواء هي ماتتنفسـه رئتاي وانظر الي السـماء فتداهمني الفرحه ويتسـرب الخوف خارج النفس تاركا مسـاحات للفرح والامان

عدت الي البيت وانا محمله بالفرحه وقضينا سهرتنا بالخارج صاحبنا فيها طليق جارتي والذي كان مضـــيافا ومرحبا بنا وعدنا بعد نهايه سـهرتنا الي البيت بعد ان اوصـلنا وسـلم علي جارتي علي وعد بارسـال البنات اليها في الاجازه

في تلك الليله نامت جارتي في حضـــن ابنائها الاربعه اما انا فنمت انا وابنائي في حجره الجده التي احتوتنا بفرحه وظلت تدعو لي طوال الليل وفي صلاه الفجر التي قامت لتصليها في وقتها

قمت من نومي وجلســت لاتحدث معها واشــكرها لاتاحه الفرصـــه لجارتي للعوده لابنائها

قالت ابني ظالم فهي من ســاندته حتي وصــل لما فيه من غني ولم تبخل عليه بوقتها او اي شئ طلبه منها

وجابت له الولد والبنات لكن هو ظالم راح اتجوز عليها بنت صــغيره بحجه انه محتاج يجدد شبابه

هيه بتحبه واحتوته وكانت مستعده تغفر له لكنه طلق الاولي واتزوج واحده اصــغر منها وبقت كده ايام يقضـيها مع واحده يتزوجها ثم يطلقها ويتزوج الاخري

لدرجه ان اللي معاه دلوقت اصغر من بنته

قلت لها طب والبنات مش عارفين ده طب زعلو ليه من امهم لما اتجوزت

قالت الاولاد يابنتي انانيين كل الولاد ابني ده اللي مانح نفســـه حق الزواج والطلاق لما مات ابوه كان صـــغير وانا معنديش دخل ومعاش

ابوه كان صـغير قلت اتجوز حد يشـيل مسـؤليته معايا رفض وثار وانا لخوفي عليه تراجعت واتحملت الفقر عشـان اربيه وانت شـايفه اناعايشـه في نفس البيت اللي كنت عايشــه فيه مع ابوه واللي قضـيت فيه سـنين الوحده والفقر وابني من اكبر رجال الاعمال دلوقتي تفتكري فكر فيه او في احتياجاتي ده بيديني فلوس ولاده بالعافيه مع انه ممكن يدي واحده من اللي بيتجوزهم شقه بالاف الجنيهات ده غير الدهب

كنت اسـتمع للجده وعيوني تتجول في المكان فعلا المكان فقير جدا لكنه غني بوجودها وبمشاعرها

بدء النهار يتســـلل الي الغرفه فقامت الجده لعمل الشـــاي بالحليب واوقظت انا اولادي كي نســـتعد للمغادره بعد ان تســـتعد جارتي وتودع ابنائها علي وعد بزيارتهم في الاجازه وطلبت من الجده ان تاتي معهم وتقيم بشـــقتي لكنها اعتذرت لانها لم تغادر اســـكندريه طيله حياتها الا للحج وهي المنحه الوحيده التي منحها ابنها لها عندما كان متزوجا من جارتي

عدنا الي مدينتنا وعادت معها الروح لجارتي بعوده علاقتها مع ابنائها لكنها كانت لاتنقطع عن الحوار عن زوجها الاســبق وكانت تلك المنطقه تزيد من مخاوفي وقلقي لانها متزوجه من رجل يحبها ويثق بها ويامن علي وجودها معي

وعدنا نحيا ثلاثتنا كل واحده منا تحمل هموم داخلها لكن الحياه تسير من اجل تربيه الاولاد

حتي وقعت كارثه موت زوج جارتنا الصعيديه بالغربه كانت صدمه زلزلت معها كياني وكيان جارتي الاخري لكننا وقفنا بجانبها حتي تجتاز محنتها وتنتبه لاولادها وحقوقهم

بعد فتره من هذه الواقعه فوجئت جارتنا بان اهلها جاؤا لكي تعود الي بلدتها هي واولادها وتترك شقيق زوجها يدير لهم مصالحهم لكنها رفضت وعندها اخرج اخيها الاكبر مسدسه المرخص مهددا اياها بالقتل اذا لم تستجب مما ا الي استنجادها وابنائها بنا فتدخلنا علي الفور وانقذناها ثم تناقشنا انا وزوج جارتي معهم بانها رتبت حياه اولادها وحياتها علي الحياه في المدينه وانها يجب ان تكون بجانب املاك ابنائها حتي تحافظ علي مصالحها واقترحنا عليه ان ياتي بامها من البلد كي تعيش مع ابنتها وتمنع عنها اي مخاوف

واستطردت قائله له ان الزمن عاقبها بوفاه زوجها وهي مازالت شابه وانتم تقسون عليها بدلا من الوقوف بجانبها ودعمها

وبعد مناقشات وتعهدات استجاب اخيها لاستمرارها بالبلده شرط عدم تفكيرها مطلقا في الزواج مره اخري وتتفرغ تماما لتربيه ابنائها ومصالحهم

كنت استغرب من شرط اخيها الذي حرم عليها الحياه وهي لم تعش حياتها مع زوجها الراحل بسبب الغربه لكنها وافقت وتركها اخيها بعد ان اتي بامها لتعيش معها مع زياراته هو واخوته المفاجئه لها تحسبا لاي غلطه ممكن تكون زريعه لعودتها الي قريتها في اقاصي الصعيد انغمست في عملي الوظيفي وعملي بمجال الثقافه ومسؤليتي رعايه ابناء جارتي وتعليمهم وتعليمها هي القراءه والكتابه وعلي الجانب الاخر توطدت العلاقه بين جارتي الاخري وابنائها الذين زاروها اكثر من مره وذهبت هي لزيارتهم مرات عديده كانت تعود بعدها ناقمه علي زوجها الذي كان يتفاني في تلبيه طلباتها ورغباتها ومع ذلك كانت دائما غير راضيه وغير قانعه وكثيرا ماقارنت بينه وبين ابو اولادها من حيث الدخل والشكل وايضا رجولته

كثيرا ماكان يخترق الصمت جدار شقتي من صوتهم الذي يعلو ويعلو للدرجه التي كنت معها ازيد من صوت المذياع الذي كنت امضي الليل في سماع موسيقاه من البرنامج الثاني

فكانت تقطع هذه الحاله بان تاتي الي بابي لتطرق بشده وتدخل لتشكو هذا المخلوق علي حد تعبيرها الشحيح والذي يبخل عليها وعلي اولادها والذي لايعنيه سوي بطنه وفقط

كنت اعلم ان الرجل عكس ماكانت تقول ولكنها تضع مبررات لخلافها معه وهي تعلم انه لايستطيع التخلي او الاستغناء عنها فقد

كان يحبها وايضـــا كان يري فيها امه التي تحنو عليه وتعاقبه احيانا كثيره

كنت الاحظ ذلك من حواراتهم امامي للدرجه التي كنت اظن احيانا كثيره ان هذا الرجل يعاني اوديبيه العقده

لكن ماكنت اعلمه جيدا من جارتي الصـــعيديه ان جارتنا عندما تذهب لزياره اولادها في الاســكندريه فانها تقضـــي وقتها كله مع زوجها السابق واضافت الجاره ان ابنتها التي صاحبتها الي الاسكندريه ذكرت لها انها كانت تقضـــي الســاعات مع طليقها بغرفه وحدهم مغلقه عليهم معا

واستطردت قاءله وطبعا استحاله يكونوا قافلين عليهم وبيصلوا يعني وهي مستنكره وكانت عبارتها بمثابه اعلان عن خيانه

خيانه جارتنا لزوجها وايضا خيانه جارتي الصعيديه لجارتنا

و لفني الصـــمت امام تلك المقوله فانا ليس معي دليل لخيانتها غير تغيراتها في تصـرفاتها مع زوجها وهذا دليل غير كافي لكنني اخذت في تحاشـيها لبعض الوقت بحجه انشـغالي بمشـروع عمل وايضـا زاد من ابتعادي انني لمحت جارتي الصـــعيديه تمنح لنفســـها بعض الحريات الممنوعـه عنهـا بحجـه انهـا غير متزوجـه وانهـا لم تعش كمـا يعيش الاخرون مع ازواجهم ويخونوا

ووجدتني محاصـره بدخان الخيانات فابتعدت باولادي لمده شـهر في القاهره

كانت رحله عمل انتهزتها فرصـــه للفرار من واقع جديد بداء يفرض نفســه علي علاقه الجيره التي اســتمرت ســنوات كنا فيها شــقه واحده واولادنا جميعا اخوه

لكن النفوس تغيرت وانا لااستطيع الموائمه مع الجديد

واثنـاء وجودي مع اولادي في القاهره احتجت بعض الاشـــياء من شـقتي لانني قمت باسـتئجار شـقه مفروشـه في القاهره لنقضـي بها انا واولادي فتره عملي

كان الشـقه ينقصـها بعض الاشـياء البسـيطه وخاصـه مروحه ونحن بشـهر اغسـطس الذي كان حارا ورطبا ففكرت هل اشـتري ام ارسـل احد زوملائي بالعمل ليحضـر لي واحده من شـقتي وايضـا بعض الملابس للاولاد

واستقر القرار ان ارسل زميل لي يسافر مرتان بالاسبوع للاسماعليه ارسله الي جارتي لاعطائهما المفتاح وتجهيز الاشياء التي طلبتها منهم تليفونيا

وبالفعل اتاني هذا الزميل بالاشياء وايضا بالمفتاح ومرت ايام عملي بالقاهره واستعدينا انا والاولاد للعوده لبيتنا

والســـائق يقف بالعربه امام العماره التي اقطن بها وجدت البواب يســـارع لاعطائي ورقه تركها لي احد زملائي بالعمل وقبل ان ينزل السواق كل الاشياء استوقفته فقد كانت الرساله فيها انني مطلوبه لعمل في بورســـعيد من اجل اعاده عمل لي ســـوف يدخل احد المهرجانات الثقافيه وعلي الفور اخترت الاشـياء التي سـتصـعد لشـقتي واسـتبقيت ملابسي انا والاولاد وحملها معي البواب وابني وصعدت الي الشقه

كنا قاربنا العشـاء صـعدت ووجدت ابواب جارتي مغلقه فقلت لنفسـي افتح باب شـقتي واضـع الاشـياء ثم القي عليهم السـلام واطمئن علي احوالهم ثم اتوجه مع الســـائق الذي ينتظر اســـفل العماره الي مدينه بورسعيد

ادرت المفتاح وفتحت الباب فابعثت رائحه نفاذه لغاز البوتجاز تملاء الشـــقه فصـــرخت في البواب وابني الا يقرب احدهم مفتاح الكهرباء او جرس الباب

وضعت يدي علي انفي ودخلت مسرعه الي المطبخ في نهايه الشقه لاجد انبوبه البوتجاز فاغلقه وافتح شـــباك المطبخ في ثواني معدوده

وجريت الي الغرف افتحها وافتح كل شـــباك او باب يقابلني ثم خرجت الي السلم لاسترد انفاسي المحبوسه

ووجدت جيراني في الادوار السـفليه الجميع فتح ابوابه ليتسـاءل عن رائحه الغاز المنبعث في العماره

استمر الحال لفتره ثم بدات الرائحه تتلاشي وكانت ابنتي قد صـعدت هي والسائق ليستعلموا عما حدث وسبب تاخيرنا ودخل الرجل معي وهو يحمل ولاعه صـــغيره بها كشـــاف للاضـــاءه لننظر ونندهش فعيون البوتجاز كلها مفتوحه طمانني السـائق واغلق العيون وخرجنا الي السـلم مره اخري فقال لي لاتتعجلي امرك ســانتظر علي القهوه اســفل العماره بعد ان قام بفتح النور في الصـــاله وقال كده خلاص بس خلي الشـــقه تتهوي شويه

جلســت علي كنبه الانتريه افكر فيما حدث وما كان من الممكن ان يحدث لو انني وضعت يدي علي مفتاح النور

وفي وســط اســتغراقي ومحاوله اســترداد بعض من نفســي وجدت امامي علي المنضـده كوب به بقايا قهوه ومطفي به سـيجاره بها احمر شفاه

امســكت بالكوب وتفحصــته وجدته مازال حديثا يعني ممكن يكون كان الصبح في ذات اليوم او بالكثير امس ليلا

تفحصـــت الســـيجاره وامســـكتها لاري ماركتها كانت من نفس نوع سجائر جارتي الاسكندرانيه

هنا توقف عقلي عن التفكير وتســائلت هل من الممكن ان ينســحب الشر لان يدبروا لي حادث اذهب ضحيته انا وابنائي

واين هذا الضـمير الذي يتحكم في البشـر وصـرخت باعلي صـوتي علي البواب الـذي صـــعد الي الاعلي فـامرتـه ان يـذهـب الي النجـار وياتيني به ومعه ياتي بكالون جديد للباب لاغيره قبيل سفري

فقد بدات تتكشـــف امامي الحقيقه عاريه انا حاله كشـــف واضـــحه لجارتيي ولن اعفي واحده من اتهامي الذي لن اصـــرح به فالاثنتان هم من اخذوا المفتاح من زميلي ليجهزوا اشيائي وحرصتا ان يعطوه المفتاح بالرغم انني اخبرتهم بالتليفون ان يبقي معهم

اذا فقد صنعتا عليه وقامتا بتدبير جريمتهما

القهوه لعنـه الله علي القهوه لمـا يتحول هذا الفنجـان في لحظـه الي لعنه ســـواء لاغتصـــاب الروح او الخيانه والغدر وعاهدت نفســـي ان اتخلص من عشـــقي للقهوه في اليوم ذاتـه الـذي اتـاكد فيـه من انتهـاء الخيانه من حياتي

ولفت نظري انه مع تلك الرائحه والجيران واصـــواتهم التي ملاءت المكان وصوت البواب والسائق لم يفتح باب شقتيهما

مع معرفتهم انني ساعود اليوم في المساء

جاء النجار واســـتبدل كالون الباب واخذت منه المفاتيح الجديده وقمت بوضـــع الكالون القديم والمفاتيح امام شـــقتهم واعدت اغلاق الشـبابيك مع ترك النوافذ الزجاجيه مفتوحه واغلقت باب شـقتي بعد ان مررت علي حجرات شقتي لاطمئن انها لم يعبث بها او بدولابي الخاص

وتوجهت دون اراهم الي عملي الذي اســتغرق حوالي الاســبوع وانا هناك اعطي نفســي فرصــه للتفكير فيما حدث وفي نفوس البشــر التي تجنح للشر المجاني

جلسـت علي شـاطئ البحر وانا العن منفاي محاوله كسـر كل جبال الصـــبر وتلال الغضـــب الكامن داخلي وتمر امامي ذكرياتي معهم وكيف انني لم تمتد يدي اليهن الا بالخير ولم اتعامل مع ابنائهن الا بكل امانه

كان الموج يتلاحق في غضـب يعادل الغضـب داخلي وتذكرت يوم اتت ابنه جارتي الصـــعيديه تشـــكو من معامله امها معهم وانها تغلق عليهم باب غرفتهم بالمفتاح عندما ياتي الي زيارتها ابن اختها الشـــاب وكيف انها شـاهدت امها تنام بحضـن ابن خالتها في سـريرها وعندما

دخلت الي الحجره وبختها الام وطردتها من الحجره وقررت بعد ذلك في وجوده ان تغلق عليهم باب حجرتهم بالمفتاح

كانت البنت علي ابواب ســـن المراهقه وتكاد تنطق بما كان يدور داخل الغرفه او علي الاقل مايقودها اليه خيالها

اما انا فقد نقلت تفكيرها الي منطقه اكثر نقاء وهي ان الام تعتبره ابنها البكري وهي تحكي معه مشــاكلهم مع عمها ومع الميراث الخاص بهم وهي لاتريد ان تدخل بهم الي مناطق قلق وطلبت من البنت ان تاتي الي شقتي للاستذكار والنوم عندما يحل ابن الخاله ضيفا عليهم

واحترت يومها هل اصــارح جارتي بشــكوك ابنتها وهي الغير واعيه كيف ستتعامل مع شكوك ابنتها واتهاماتها لها ولابن خالتها

اثرت ان احل الموضوع بعيدا عن مصارحتها

هل يكون جزاء الحفاظ علي مشــاعر الاخرين والحفاظ علي ســلامه نفسيه ابنائهم الغدر

ادركت انني دخلت للمســتنقع القذر وحاصــرني وانني لابد ان اخرج سريعا واحاول تطهير نفسي منه

فلقد اصبحت انا حاله من كشف الستر واذا لم تفلح جريمتهم الاولي فانهم سيعاودون مره اخري وممكن تكون القادمه قتل معنوي فاثرت الابتعاد والخروج باقل خسائر من معركه فرضت علي ولم اسعي لها

وكان قراري الابتعاد عنهم وترك المكان باكمله وانني لابد ان اسقط تلك الفتره من حياتي كما سبق وان اسقطت حياتي الزوجيه من حياتي وابدء من جديد فالعيب ليس فيهم العيب في انسانيتي التي اوصلتني الي حد الخيانه

نظرت الي البحر الذي بداءت امواجه تهدا قليلا واتت النورسات الشقيه تحلق فوق مياهه وابتسمت واخذت نفسا عميقا محملا بالهواء النقي المشبع باليود فاستعدت نفسي التائهه مره اخري فالتوائم بالنسبه لي هو الجلوس بجانب البحر اشتم رائحه الهواء واستعيد لحظات الصفاء بنفسي عندما كنت طفله سعيده تلهو كجميع الاطفال في سنها انذاك وجدتني اقوم لتقودني قدماي للدخول الي البحر الهو معه بقدمي واستشعره علي جسدي فيعيد لي انسانيتي

واتخذت قراري وهو ان اترك المدينه الي غير رجعه وانقل عملي وابنائي الي القاهره وهناك لن انزلق مره اخري الي الخوض في العلاقات المنفتحه والتي كانت بالنسبه لي عبئ لكنها كانت اكثر احساس الانسان المسؤل بتولي مسؤلياته

مر مابعد هذا الحادث دون مناقشـــه مني لجاراتيي والتي حاولتا فتح الموضـــوع الذي كنت اســـتخف به واضـــحك عليه حتي جاءت لحظه الرحيل من تلك المدينه كصاعقه وقعت علي راسيهما

ووقفتا حائرتان لاتعرفان ماذا تقولان وكانهن قد اصـــابهن الخرس المفاجئ

كنت اجمع الاشـــياء والمنقولات ولا التفت اليهن ولكني مع العمال كنت منهمكه تماما في لملمه الاشـــياء والحقيقه انني كنت الملم ذاتي التي جئت بها لاحميها واحمي ابنائي ولكن بانســـانيتي المفرطه كدت افقد حياتي وحياه ابنائي في لحظه

واصـــررت الا اخبرهن بعنواني الجديد او مكان عملي وانا اودعهم كنت اردد عباره واحدهٍ "ان اترككم وانا اخطو امامكم خيرلكم مما كنا تركناكم ونحن جثث هامده " فلترتاح ضمائركم

ومره اخري عدت لنفســـي الومها لثقتها في الناس وانفتاحها في علاقات لنفوس خربه زلزلت ولم يتبق منها الانفايات بشر

عدت لنفســي وانا عازمه علي اغلاق ابوابي علي والاســتجيب مره اخري لانفتاحي علي الاخرين واكتفيت باعطاء وقتي وجهدي لعملي ولابنائي وتناســـيت الانثي بداخلي كنت الهث والهث لاتي اخر الليل

منهكه من كثره العمل والتفكير فياخذني فراشي لهوه سحيقه من الغيبوبه استيقظ منها ليوم اخر الهث فيه

وكان اولادي قد دخلو لمرحله التعليم الجامعي واصـــبحت حياتهم مزدحمه بالاصدقاء والعلاقات ولاحظت انخراط ابني في اكثر من ميدان من الميادين الثقافيه والسياسيه وكنا نتناقش ودائمي الخلاف في وجهات النظر

كان انتماءه الفكري للوطن لكنه كان معارضـا شـرسـا ومشـاركا في النشاطات الطلابيه وهو في الجامعه

حتي بعد انهاء دراســته الجامعيه ظل في نشـــاطه المســـتمر في الاواسط الثقافيه والسياسيه

كنت اخشـــي عليه وبيني وبين نفســـي اقول انها الجينات فلقد حمل جينـات ابيـه واخوالـه وانني اجني في منـاقشـــتـه معي مـازرعتـه داخلـه وداخل اختـه من حريـه ولا انـدم علي ذلك فهو لم يكن فوضـــويا ولا انتهازيا لكنه ابن مرحلته بظروفها الاجتماعيه والسـياسـيه والاقتصـاديه خاصـــه وانه انهي تعليمه الجامعي ولم يؤهل لعمل يفتح امامه مجالا اخر يجد فيه ذاته ويتحقق

كان احسـاسـي بالحصـار لذاتي يتزايد خاصـه مع ضـغوط الحياه وزياده اعبائها الماديه فكان يداهمني احساس

الفراشـــه ســـجينه الاناء الزجاجي مملوء بالهواء وكلما نفذ منه الهواء اعطوهـا قـدرا منـه لكي تتنفس ولكي تعيش بعيـدا عن عـالم التحليق والجمال فاصبحت مشلوله الحركه وفقدت زهوه الالوان ورشاقه الحركه

فرضـــت علي نفســـي العزله فلم يعد لي الا ســـجني الزجاجي وقدر الهواء المسموح بالتنفس لا الحياه

عدت للدهشـــه والقلق والشـــك والانتظار اقبع داخل الايقونه المذهبه في انتظار العمر الذي ياتي وانا لااعلم انه كان يفر

ضفه النهار ...

اسـقط في دائره الارهاق سـجن جديد يحتويني ويحتوي ليلي حاصـه بعد ان اصـبح اولادي مسـؤلين عن انفسـهم ولم اعد مشـغوله باهتمامي بهم ورعايتهم

فاصـبحت في مواجهه نفسـي لنفسـي انا والفراغ والوحده رفاق الرحله بعد ان تـاهت الاحلام في متـاهات الاوهـام وغلف اليـاس الروح فلقد كنت الهث طيله عمر كان ينفرط حبات عقده وانا اسير تجاه المجهول محمله بمســـؤليات القيتها علي عاتقي بارادتي وتذكرت انني علي مدي عمري لم اعش يوما لي

ولاول مره انظر لنفســي بالمراه واتفحص وجهي جيدا والذي اصــبح غريبـا عني فهو وبرغم مـامر من ذكريـات مؤلمـه تركـت ظلالهـا علي الروح وقسمات الوجه الا انه قادر مازال علي الابتسام

تساءلت من اين تاتيك ايتها المراءه هذه القوه وتلك الابتسامه الهادئه ؟ فالكون باهتا بلا الوان والقبح الرمادي يتسـيد الوجود ومحصــله الحياه صفر لقد صارت حياتك والعدم سواءْ

العدم رددتها داخلي واستنكرتها

مـاانـا بعدم لقد كنت فعل داخلهـا طيلـه حيـاتي كـان التمرد والوهج داخلي ينقلني علي ضــفافه من منطقه لاخري عاشــقه للحياه انا ولكنها مرت دون ان اقبض عليها واستشعرها

كنت امنحها للاخرين وتناســيت انني احتاجها كما احتياجي للتنفس طردت الفكره القاسيه من ذهني وصرخت داخلي لم ولن اكون صفرا

جاء الخريف مخلفا وراءه صيف حار وبداءت الغيوم تتجمع ويتحول وهج الطبيعه للون الرمادي

وانا اعشق الربيع يفتح بشراييني زهور الامل ويورق داخلي احساسي بالحياه

في تلك الليله من ازمنه بعيده جاءت تطل بابتسامتها لتنير صحراء حياتي القاحله المظلمه ربتت علي كتفي واخذت بيدي لانظر لنفسي في المراه واندهش يااالله ماكل هذا الجمال وهذا الوهج بعيني فمسحت بيديها علي شعري فنظرت اليها مبتسمه امسكت بيدي ووضعت فيها نجمه البحروطبعت قبله علي جبيني وتركتني مودعه وهي تبتسم وتشير الي النجمه في يدي التي احكمت قبضتي عليها

تلك اخر امنياتي وغابت بالاعماق كما غابت من قبل

استيقظت مبكرا وانا احمل الامل بداخلي مبتسمه احتسيت قهوتي الصباحيه وارتديت ملابسي ووقفت امام المراه لاصفف شعري كانت هناك لمعه بعيوني لم االفها طيله العمر المنقضي ابتسمت وفتحت الدرج حتي اضع الفرشاه به ووقفت اتامل نجمه البحر بداخله والتي احب ان احتفظ بها فهي تبعث بداخلي التفاؤل وتمنحني الامل وابتهج حينما اجدها علي الشاطئ وقد لفظها البحر ونادرا مايحدث

اخذتها ووضعتها بحقيبتي ونظرت مره اخيره لنفسي في المراه وغادرت البيت الي عملي

خرجت من عملي في ذاك اليوم بعد يوم مرهق من اداء مهامي الوظيفيه وفكرت لما لا اتناول طعامي اليوم بالخارج ولمن اعود الي البيت وقررت ان اهرب من حاله الرتابه والملل المعتاد ساذهب الي احد

الاماكن العامه اتناول طعامي وسط الناس واتامل البشر والطبيعه واخترت مكان علي النيل بالقرب من مكان عملي فاانا اكره الاماكن المغلقه ولما لا فهذا المكان حمل لنفسي ذكريات سعيده وايضا تعيسه وفي كل مره كنت اتي اليه كان معي اخرين صنعوا ذكرياتي معه تلك المره ساذهب وحدي محمله بذكرياتهم اتناول الغذاء واشرب قهوتي واترك لخيالي فرصه الانطلاق للتامل

دخلت المكان ونزلت للدرج حتي اجلس مباشره علي النيل واشتم رائحه الهواء ولحسن الحظ كان المكان شبه خاليا فاخترت ترابيزه بعنايه جلست عليها وقبل ان اجلس وقفت اتامل القاعه الزجاجيه امامي والتي كان يجلس فيها اديبنا الكبير { نجيب محفوظ } هو وشله الحرافيش ابتسمت وجلست اتذكر اول مره شاهدته وهو يجلس في تواضع وحينما ذهبت للسلام وانا اخشي الا يستجيب لسلامي وجدت التواضع مجسدا في شخصه وكم كان لطيفا مع انسانه اقتحمت جلسته الخاصه مع اصدقاءه المقربون وكان جمال الذكري حافز لاستنهاض الفرح بداخلي في تلك اللحظه اتي الجرسون فطلبت الغذاء وذهب لياتي به

كان هناك شخص يجلس وحيدا امامه بعض الكتب ونظاره شمسيه لم يكن يرتديها وعلبه سجائره وولاعته مررت عليه وانا اختار ترابيزتي بعنايه وجلست في مواجهته ليس عن قصد ولكن لاري اكبر مساحه من النيل واتامل بنايات وسط البلد وانا اجلس في الناحيه المقابله

كان هو يتابعني وانا غافله عنه كنت ارتدي نظارتي الشمسيه واتامل المراكب الصغيره في النيل والتي يركب فيها بعض الشباب للتنزه

اتي الجرسون بالطعام الذي بدات في تناوله وعيوني تنظر الي النيل في ابتســـام والذكريات تتطاير هنا وهناك تترك اثرها علي ملامحي المستقره يومها والهادئه بفعل التغيير

بعد ان انهيت طعامي جاء الجرســون لحمل الاطباق فطلبت منه قهوتي المظبوطه واخرجت من شنطتي علبه سجائري لاشعل سيجاره مع القهوه واستمتع برؤيه النيل

وجدته يقف امامي ويعرفني علي نفســه تاملته يااااه بعد كل هذا الزمن نتلاقي نفس الوسامه والرجوله لم تتغير ملامحه كثيرا لكنه الزمن ترك نحته علي الوجه المبتسم

صــافحته وبدون ان ادعوه للجلوس كان قد جلس وطلب قهوته المظبوطه ايضا وبدانا كلا منا يتحدث عن فعل الحياه معه

كان زميل دراســتي الجامعيه وكان معجبا بي وانا طالبه وحين تزوجت اصــيب بصــدمه ولم يصــرح لي لكنني كنت قد عرفت من زميلاتي بالجامعه وظللت طيله سنوات دراستي اتحاشاه وهو ايضا

وتخرجنا واخذتنا الدنيا للدرجه التي لم ياتي ذكره علي خاطري ولو مره واحده طيله هذه السنوات اما هو فقد وجدت اخبار كثيره عن حياتي هو علي علم به حتي عندما تزوج فقد اســـمي ابنته الاولي باســـمي وضحكت من قلبي هل فعلا كان حب قلت له: رد بشكل سريع لا ليس حب انه عشق كنت امامي طيله سنوات ويتردد اسمك علي لساني دائما كنت اعلم ظروفك من مشاكل مررتي بها وطلاق وانتقال وكنت اتابعك وظيفيا واتابع عملك في مجال الثقافه لكنني لم اجرؤ ان اتحدث اليك او اتوجه لك مباشره خاصه وانني اعلم انك كنت مسؤله عن تربيه ابنائك حتي بعد انفصلت انا عن زوجتي وكبرت بناتي وتزوجن خفت ان اتي الي مقر عملك واقابلك فانا ايضا منذ انفصالي عن زوجتي والتي تزوجت وتعيش مع زوجها بالقرب من بناتنا وانا انتقلت للاقامه بالقاهره والعمل ايضا فلقد تركت وظيفتي واشتغلت بعمل حراستكمالا لاعمال والدي ومراعاه لحقوق شقيقاتي وحتي يظل اسم الوالد متواجدا كما كان طيله حياته وفتحت مكتبا بالقاهره واخذت شقه وها انا اعيش هنا بالقرب منك واتي الي هذا المكان يوميا اتناول غذائي وامني نفسي برؤيتك مره تهبطين علي الدرج وتمرين من جانبي فياخذني عطرك وينفذ الي رئتي فااحيا من جديد

كان يتحدث برجوله وبجديه ومع حديثه كان داخلي ينفتح اكثر لمعانقه الحياه شئ جديد احس به واستشعره يولد علي مهل

لم ادرك اننا قد تجاوزنا عده ساعات وانا استمع له وتتسرب الي القلب نسمات فرح

قمنا من المكان فطلب مني طلبان احدهما ان يوصلني الي سكني والاخر ان نتناول غذائنا سويا في الغد وعلي الفور استجبت له

والتقينا وكثرت اللقاءات وايضا المحادثات التليفونيه والتي كانت تاخذنا علي اجنحه الشوق الي افاق ارحب ويمر الليل بدون ان يهاجمني الظلام اوتسجن روحي الام الوحده

ومرشتاء دافئ بمشاعره واتي الربيع يتسرب داخلنا وكنا نجلس في مكاننا نتناول الغذاء حتي باغتني بطلبه ان نبتعد وللابد وان تلك المره هي لقاءنا الاخير....

ويشرد ذهني وانا استمع له

كم من ايام مرت وانا اسقط في دائره الارهاق؟ كان سجن يحتويني ويحتوي عمري

كنت اصنع الكوابيس وانسج الاوهام فتهدني الحيره واتلهف لرؤيه الوجه الاخر للحياه فاسافر في رحله داخل افكاري واخرج من نفسي بعض الوقت ليلطمني الزمن علي وجهي وارجع بظهري للخلف وتدور

بي الدنيا فتتشـــتت ابتســـامتي وتتوزع في الفراغ وتبقي كلماتي كانها مقتوله فانادي الفراغ واختبئ وراء اللغز

ابتســـم وقد ودعت احزاني الطويله فها هو قد اتي من البعيد من الاعماق حيث كان يختبئ كلؤلؤه في محاره روحي خرجت من الاعماق وغادرت الصـــدفا ليشـــع ضـــياءها الحياه وتعيد براءه الطفوله وتتلالا الامنيات بداخلي لتزف الي العريس القادم من الاعماق فاطوي الوجع والخوف والوحده والالام السنين لاستقبل الفرح الحزن..ترك مكانه مغادرا ولم يتبق غير السراب ...

وككل الحكايات.. تبدا بكان.. وتنتهي بتوته توته.. لم يمهلني لحظات لاتعرف علي اسبابه .. كان قد نطق بجملته الاخيره وتلاشـي في الفراغ من حولي...

كنت قد انتهيت من اخر رشـــفه في فنجان قهوتي الذي وضـــعته امامي وانا ابتســم وارددها داخلي كان من الممكن ان يكون هذا فنجان قهوتي الاخير...

فتحت عيني لاجد النور يتســـلل الي حجرتي بخيوطه الذهبيه اقوم من السرير متكاسله واذهب لاصنع قهوتي الصباحيه مستغرقه في عالم الاحلام الذي كان ينقلني علي ضفافه من ضفه لاخري

اجلس لاحتســـي قهوتي واداعـب الـدلايـه المعلقـه بصـــدري وابتسم..يالكي من سلسله جمعتي كل تاريخي ولفظتيه

كنت امضــي وفي صـدري الحزن ونحيب كلمات عصـر غير الذي احيا فيه محاوله الايسقط رماد ايامي علي اسفلت الطرقات

واكبر تحت لهيب الشمس الحارقه وليس معي غير احزاني الطويله

لكنه اتاني بالربيع وجعلني احمل في كفي الشــمس وقدماي لاتعرف الارض علي طول المسافات

انظر اليه في حب وتتوهج عيوني المشتاقه للفرح واهمس داخلي

كنت تاتي متسللا وترسل ضوؤك ليضوي حياتي كنت تتبعني وكنت انتظر

من اين اتيت ؟ لتحييني وترويني وتعيد للقلب نبضه وللجسد الحياه

لتضـــمني وتحتويني وتبعثني وتهدهدني ولتخرجني من ظلمه روحي وتنثر علي من نور روحك

.....النهايه.....